

الموضوع:

## الفكر التربوي عند محمد البشير الإبراهيمي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

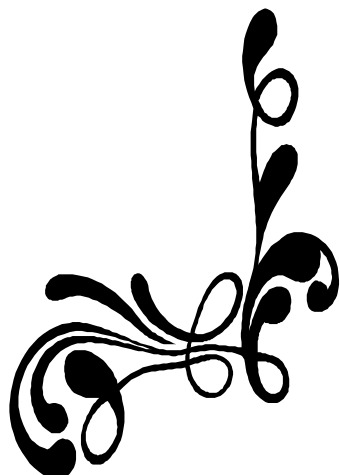
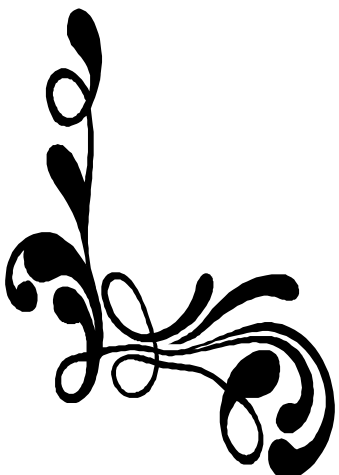
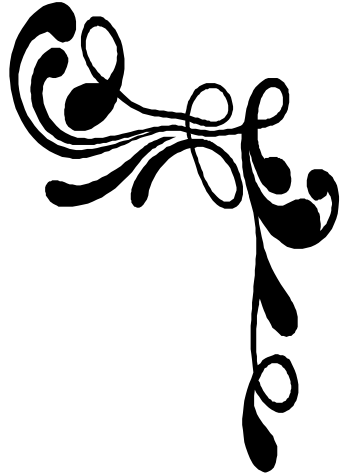
إشراف الأستاذ:  
أرفيس علي

إعداد الطالب:  
مخلوفي رؤوف

أعضاء لجنة المناقشة:

الصفة	الجامعة	لقب واسم الأستاذ
رئيس لجنة المناقشة	المسيلة	أ.د. زروخي الدراجي
مشرفا ومقررا	المسيلة	أ. أرفيس علي
عضوا مناقشا	المسيلة	أ. معيلبي عيسى

السنة الجامعية: 2019 / 2018



# إهداء

إلى:

- روح أبي الطاهرة رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه.

- روح الطالب بعوني من وان الطاهرة رحمه الله وأسكنه فسيح جنانه.

- أمي حفظها الله.

- كل أفراد العائلة...

# شكر وتقدير

الحمد لله ملء السماوات والأرض بما يسّر لي لإتمام هذا البحث

يقول المصطفى الأمين صلوات ربي وسلامه عليه:

"لا يشكر الله من لا يشكر الناس"

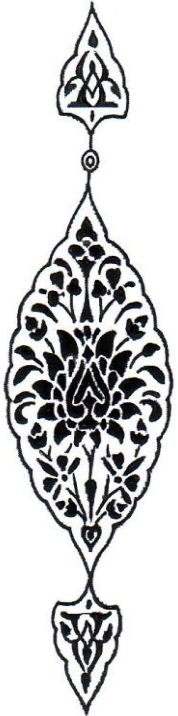
من هنا لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الفاضل: أرفيس علي

الذي أشرف على عملي هذا بصدور مرحب، وكان نعم المعين والمرشد، كما

أشكر الأستاذ زمر وحي الدراجي وجميع أساتذة قسم الفلسفة بجامعة محمد

بوضياف - المسيلة -

والشكر الجزيل إلى كل زملائي وكل من ساعدوني.



# مقدمة

## مقدمة:

لعل من أهم ما سعت إليه الحضارات الكبرى التي عرفت الإنسانية، هو تكوين إنسان متكامل صالح في مجتمعه وهذا عن طريق التربية والتعليم، والحضارة العربية الإسلامية بالخصوص في نُشْدانها لهذا المسعى، اهتمت بكافة الجوانب في ذلك ومن بينها؛ الروحية والعقلية والجسدية، وخير مثال على ذلك الرعيل الأول من الصحابة والأخيار الذين تربوا على يدي معلم البشرية محمد صلى الله عليه وسلم، بواسطة القرآن الكريم، الذي تَفَنَّقَت بفضلِه مواهب الإنسان العربي المسلم فأثار جنابات الكون بواسطة العلم والمعاملات؛ أي بمعنى تلك الدرر واللآلئ من المؤلفات التي جعلتهم في ريادة الأمم.

ومع تراجع شُعاع الحضارة العربية الإسلامية، ثم وقوع العديد من أجزائها ومن بينها الجزائر تحت ليل الاستعمار الفرنسي الكالح؛ الذي عمل كل ما بوسعه على تفكيك أوصال المجتمع الجزائري، وفي وقت ظن أنه أحكم القبضة على عقول ونفوس الجزائريين، قَبِضَ اللهُ سبحانه وتعالى لهذه الأمة من يدحض هذه المقولة الزائفة، وهم تلك الثلة الموقرة من مُفكري وعلماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومن أبرزهم العلامة محمد البشير الإبراهيمي الذي اهتدى بفضل نظرتِه السديدة إلى التربية والتعليم، ويجعلها أهم أولوياته، باعتبارها الدعامة الأساسية في بناء المجتمع الجزائري بصفة خاصة والأمة العربية الإسلامية ككل.

وما يعيشه قطاع التربية والتعليم بالخصوص والمجتمع الجزائري بصفة عامة اليوم؛ من تراجع ملحوظ وبالخصوص في التربية، أصبح من الضروري الالتفات والعودة إلى الفكر التربوي للعلامة محمد البشير الإبراهيمي نظرًا لأهمية البالغة التي يحملها بين ثناياه وهو ما سأحاول توضيحه وتبيينه.

وأسباب اختياري لهذا الموضوع يمكن تقسيمها إلى أسباب ذاتية وموضوعية: أما الذاتية منها إعجابي بأفكار وشخصية علامتنا محمد البشير الإبراهيمي؛ فالقراءة له تجعلني أغوص في بحر لُجِّي يزخر بمكونات كاللؤلؤ والمرجان، أما الموضوعية فعلامتنا محمد

البشير الإبراهيمي فُكّر وقَدّر من داخل الحضارة العربية الإسلامية ومن خلال عصره وما يتطلبه من مفاهيم ومعارف وعلوم، وكذلك قلة الدراسات بالخصوص في الحقل الفلسفي حول ما قدمه العلامة محمد البشير الإبراهيمي من أفكار ثريّة، ما يجعل البحث في هذا الموضوع ضروريًا، ونحن نعلم أن العلامة محمد البشير الإبراهيمي يمتاز بثورته الفكرية التربوية على النظرة المميّنة الجمودية الساكنة.

لذلك فالإشكالية التي سنحاول الإجابة عليها بين ثنايا الموضوع هي: إذا كانت التربية تلعب دورًا محوريًا في بناء المجتمعات، فكيف تجسدت هذه النظرة من خلال المشروع التربوي للعلامة محمد البشير الإبراهيمي؟

واعتمدت على المنهج التحليلي والمقارن والتاريخي؛ أما التحليلي فيتضح للقارئ الكريم من خلال محاولتي الوقوف على جزئيات التصور الفلسفي للتربية وبالخصوص عند العلامة محمد البشير الإبراهيمي، والمقارن في محاولتي إبراز مميزات وخصائص الفكر العربي عن الفكر الغربي، والتاريخي فيبرز من خلال محاولتي تتبع الظروف التي مرت بها فكرة التربية وبصفة جوهرية عند العلامة محمد البشير الإبراهيمي.

وارتأيت تقسيم بحثي هذا إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، توضح موضوع البحث بالتدرج وهي كالاتي:

**الفصل الأول:** حاولت فيه التمهيد للبحث، والذي قسمته هو الآخر إلى ثلاثة مباحث، كان أولها محاولة تحديد مفهوم التربية في اللغة والاصطلاح، وتلاه مبحث ثاني تناولت فيه التربية بشكل مُبسط في الفكر الغربي من خلال بعض النماذج في السياق الغربي، ومبحث ثالث تناولت فيه التربية كذلك بشكل مُبسط عند بعض النماذج اللامعة في الفكر العربي.

**أما الفصل الثاني:** حاولت فيه إبراز المرجعية الفكرية العربية الإسلامية، التي بنى عليها العلامة محمد البشير الإبراهيمي مشروعه التربوي، والذي قسمته إلى أربعة مباحث؛

أولها حاولت فيه إبراز الظروف التي تشكلت فيها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تلاه  
مبحث ثاني حاولت فيه الوقوف على الفهم الصحيح للدين الإسلامي، وتلاه مبحث ثالث  
تناولت فيه القومية العربية كضامن لوحدة الأمة العربية الإسلامية، ومبحث رابع حاولت فيه  
إبراز الوطنية المُخلصة للعلامة محمد البشير الإبراهيمي من خلال مواقفه.

**الفصل الثالث:** حاولت فيه تبسيط المعالم البارزة للمشروع التربوي للعلامة محمد  
البشير الإبراهيمي، والذي قسمته هو الآخر إلى أربعة مباحث؛ الأول حاولت فيه توضيح  
مميزات المعلم الناجح في رسالته التربوية، والثاني حاولت فيه توضيح شروط تربية المتعلم،  
والثالث حاولت فيه الوقوف على ما ينبغي للمتعلم أن يتناوله من مادة علمية، والعنصر  
الأخير حاولت فيه توضيح الطريقة المثلى لتدريس المتعلم وتوصيل المعارف العلمية إليه.

وواجهتني عدة صعوبات ولكني حاولت تجاوزها قدر المستطاع ومن بينها؛ قلة  
المراجع المتعلقة بالفكر التربوي للشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وكذلك موسوعية العلامة  
محمد البشير الإبراهيمي وهو ما يجعل الإحاطة بأفكاره ليس بالأمر الهين.

# الفصل الأول

## مفهوم التربية في الفكر الغربي والعربي

المبحث الأول: مفهوم التربية (لغة، اصطلاحاً)

المبحث الثاني: التربية في الفكر الغربي (أفلاطون، جون جاك

روسو، جون ديوي)

المبحث الثالث: التربية في الفكر العربي (أبو حامد الغزالي، ابن

خلدون، مالك بن نبي)

## المبحث الأول: مفهوم التربية (لغة، اصطلاحاً)

## 1- مفهوم التربية في اللغة:

كلمة تربية في اللغة العربية مشتقة من الجذر (ر-ب-ا)؛ ربا: ربا الشيء يُرَبُّو بمعنى زاد ونما، قال الأصمعي: «رَبَوْتُ فِي بَنِي فُلَانٍ أُرَبُّو نَشَأْتُ فِيهِمْ، وَرَبَّيْتُ فُلَانًا أُرَبِّيه تَرْبِيَةً وَتَرْبِيَّتُهُ وَرَبَّبْتُهُ وَرَبَّبْتَهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ. الْجَوْهَرِيُّ: رَبَّبْتُهُ تَرْبِيَةً وَتَرْبِيَّتَهُ أَي عَدَوْتُهُ، قَالَ: هَذَا لِكُلِّ مَا يَنْمِي كَالْوَلَدِ وَالزَّرْعِ وَنَحْوِهِ»<sup>(1)</sup>.

فالتربية هي تبليغ الشيء إلى كماله، أو هي كما يرى علماء النفس تنمية للوظائف النفسية بالتمرين حتى تبلغ كمالها شيئاً فشيئاً، تقول: «رَبَّبْتُ الْوَلَدَ، إِذَا قَوَّيْتُ مَلَكَاتِهِ، وَنَمَيْتُ قُدْرَاتِهِ، وَهَذَّبْتُ سُلُوكَهُ، حَتَّى يَصْبِحَ صَالِحًا لِلْحَيَاةِ فِي بَيْئَةٍ مَعِينَةٍ، وَتَقُولُ تَرَبَّى الرَّجُلُ إِذَا أَحْكَمْتَهُ التَّجَارِبَ وَنَشَأَ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ»<sup>(2)</sup>.

ومنه فمن شروط التربية الصحيحة أن تنمي شخصية الطفل من الناحية الجسمية والعقلية والخلقية، حتى يصبح قادراً على التأقلم مع الطبيعة من جهة، ومن جهة أخرى يعمل على إسعاد نفسه وإسعاد الناس.

وتعد التربية كذلك ظاهرة اجتماعية تخضع لما تخضع له الظواهر الأخرى في نموها وتطورها<sup>(3)</sup>، وهي مسار يقوم على تطوير وظيفة أو مجموعة من الوظائف، بالتدرج وبالدرية، وعلى تجويدها وإتقانها<sup>(4)</sup>، وإذا كانت التربية من الناحية اللغوية المقصود بها عموماً التأديب والتهديب، فما المقصود بالتربية من الناحية الاصطلاحية؟

(1) ابن منظور: لسان العرب، ج: عبد الله بن المكرم، مج 14، مادة ربا، ط 2، دار صادر، بيروت، (د ت)، ص ص 304 - 307.

(2) المرجع نفسه، ص 307.

(3) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج 1، مادة التربية، (د ط)، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، 1982، ص 266.

(4) أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ت: خليل أحمد خليل، مج 1، مادة التربية، ط 2، منشورات عويدات، بيروت - باريس، 2001، ص 29.

## 2- مفهوم التربية في الاصطلاح:

تتعدد تعريفات التربية اصطلاحاً، وذلك باختلاف المنطلقات الفلسفية التي تخضع لها النظرية التربوية\* ، وكذلك باختلاف طرق ووسائل المجتمعات الإنسانية في تربية أجيالها وفي إرساء قيمها ومعتقداتها<sup>(1)</sup>، لذلك سنحاول أن نبين الملامح العامة للتربية.

يعرفها الإمام البيضاوي في تفسيره "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" بالقول: «الربُّ في الأصل بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً ثم وصف به تعالى للمبالغة» ، وفي كتاب "المفردات" يعرفها الراغب الأصفهاني بالقول: «الربُّ: في الأصل التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام»<sup>(2)</sup>؛ نفهم من هذين التعريفين أن التربية تعني إيصال المرء إلى مرتبة الكمال التي هياها الله لها، وذلك عن طريق مراعاة فطرته، وتنمية مواهبه، وطاقاته وقدراته، بطرق متدرجة وتوجيهها للعمل في إعمار الحياة على ميثاق الله وشروطه، وذلك كله يتم وفق وسائل وغايات وهي العلم والفن والصناعة.<sup>(3)</sup>

فالتربية علم وهذا العلم علمان؛ علم إخبار وعلم إنشاء، والمقصود بعلم "إخبار" من حيث أنها إخبار عن الحقائق الكلية، والقيم الإلهية الثابتة التي يتلقاها الإنسان المؤمن فيؤمن بها إيمان تسليم، وعلم "إنشاء" من حيث أنها محاولة للكشف عن "الحقيقة"، ومعرفة قوانين وسنن الله التي خلق الكون عليها والتي يكتشفها من حين لآخر كلما ارتقى في سلم المعرفة.

والتربية فن تهدف إلى الوصول بالمرء إلى مرتبة من الإتقان أو الإحسان في الأداء،

\* النظرية التربوية: مصطلح يعني مجموع المبادئ المترابطة التي توجه العملية التربوية وتحكم الممارسات التعليمية. (انظر: فريدة شنان ومصطفى هجرسي: المعجم التربوي، ت وت: عثمان آيت مهدي، (د ط)، المركز الوطني للوثائق التربوية، الجزائر، 2009)، ص138.

(1) عباس محبوب: أصول الفكر التربوي في الإسلام، (د ط)، دار كثير، دمشق- بيروت، مؤسسة علوم القرآن، عجمان، (د ت)، ص16.

(2) نقلا عن: علي أحمد مدكور: مناهج التربية وأسسها وتطبيقاتها، (د ط)، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001، ص29.

(3) المرجع نفسه ، ص30.

والوصول بالإنسان في الحقيقة إلى درجة أن يكون محسنا هو أعلى درجات الفن وأرقى ما يهدف إليه العمل التربوي.

والتربية صناعة بمعنى أنها مهنة تهدف إلى إقدار المتعلم على إنجاز عمل معين، بحيث يتناوله بالتبديل والتعديل والتطوير، ليصبح على شكل معين.<sup>(1)</sup>

والتربية العربية الإسلامية التي أفنى الشيخ محمد البشير الإبراهيمي\* حياته من أجلها، هي في الحقيقة عملية مستمرة؛ وذلك لأنه يعتبر التعليم حقاً وواجباً في حياة الإنسان، ولقد كان توجيه الله سبحانه وتعالى لعباده في بدء الرسالة الخاتمة إلى القراءة والتعليم، في قوله تعالى ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ (سورة العلق، الآية 1)، ويقول المولى عز وجل ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ (سورة العلق، الآية 4).

ويجد الباحث في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، مربيًا عظيمًا ذا أسلوب تربوي فذّ في دعوته إلى تطبيق شريعة الإسلام<sup>(2)</sup>، فلم يمر قرن على الهجرة حتى وجد نظام تربوي دقيق شمل المجتمع العربي المسلم كله على امتداد أقطاره<sup>(3)</sup>، وهذا ما نجده متوافقا مع فلسفة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تعتبر في الحقيقة بأن أهم أعمالها هي التربية

(1) علي أحمد مدكور: مناهج التربية وأسسها وتطبيقاتها، ص ص 30-31.

\* محمد البشير الإبراهيمي (1306-1382هـ/1889-1965م): مفكر ومصالح جزائري، درس على يدي عمه محمد المكي الإبراهيمي، وأتم دروسه في المشرق حيث أقام من 1911 إلى 1920، التقى خلالها برفيقه في الدرب ابن باديس في المدينة المنورة، وقاد معه حركة الإصلاح التي توجت بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 1931، وذلك عند عودتهما للوطن الأم وقد خلفه الإبراهيمي في رئاستها بعد وفاته - ابن باديس - عام 1940، أصدر العديد من المجلات والجرائد، اصطدم مرارًا مع السلطات الاستعمارية الفرنسية التي اعتقلته وفرضت عليه الإقامة الجبرية، عاش في مصر كثيرا ومات في بلده الجزائر رحمه الله، وقد نذر حياته من أجل مولد بلد وبعث ثقافة، إهتم بتكوين الرجال ذلك ما جعله قليل التأليف ولعل من أهم مؤلفاته: عيون البصائر. (انظر، جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، ط3، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2006)، ص ص 14-15.

(2) عبد الرحمان النحلوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ط 28، دار الفكر، دمشق، 2010، ص ص 26-27.

(3) عباس محجوب: أصول الفكر التربوي في الإسلام، ص 24.

والتعليم<sup>(1)</sup>.

وتربية جيل على نمط الصحابة رضوان الله عليهم يقتدون بهم في أخلاقهم وأعمالهم، بالقرآن والسنة باعتبارهما المصدر النقي و الموجه لأي نشاط تربوي هو ما سعى إليه أعلام الأمة وجهاذتها كابن تيمية\* الذي ينطلق من التزام راسخ بهذا الطرح، وأبحاثه في ميدان التربية كانت استجابة لمعالجة الانحرافات التي ضربت مؤسسات التربية الإسلامية ومناهجها ولبلورة البدائل الفكرية<sup>(2)</sup>.

وفي الحقيقة هذا ما يراه الشيخ الإبراهيمي ويؤكد به بقوله: « القرآن هو الذي بلغ بهم إلى تلك الدرجة العالية من التربية»<sup>(3)</sup>؛ ويقصد بهم هنا الرعيل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين، فطريقة الإسلام في التربية « هي معالجة الكائن البشري كله معالجة شاملة لا تترك منه شيئاً ولا تغفل عن شيء، جسمه وعقله وروحه»<sup>(4)</sup>، فتربية الروح هذه الأخيرة يعرفها ابن القيم بقوله: « جسم نوراني علوي وخفيف حي متحرك »<sup>(5)</sup>، فالمقصود بها - تربية الروح - ما يؤدي إلى تهذيب النفس وسمو الإنسان والتخلي بالفضائل والبعد عن

(1) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1997، ص 271.

\* ابن تيمية: هو الإمام المجدد شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، ولد بحران سنة 59 هـ، حفظ القرآن الكريم وسمع الحديث من عمه فخر الدين وغيره من حفاظ الحديث، ورحل في طلب العلم إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية في سنة 603 هـ، وأقام بها بضع سنين ثم عاد إلى بلده حران، وبعد مدة عاد إلى بغداد فزاد بها شهرة ومكانة وإمامة وتوفي بها سنة 673 هـ رحمه الله . (انظر، الدراجي زروخي: ابن تيمية كما يجب أن يفهم ، ط1، دار صبحي للطباعة والنشر، متليلي غارداية - الجزائر، 2013)، ص ص 14-15.

(2) ماجد عرسان الكيلاني: الفكر التربوي عند ابن تيمية، ط 2، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، 1986، ص 89.

(3) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 4، ط 1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت - لبنان، 1997، ص 95.

(4) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، ج1(في النظرية)، ط14، دار الشروق، القاهرة، بيروت، 1993، ص 18.

(5) نقلا عن: عبد الحلیم محمد حسين: تربية الإنسان في منهج القرآن، ص 12. كتاب الكتروني اطلع عليه يوم:

<https://w.w.w.alukah.net/authors/view/home/5213>

PM: 17:10 ، 2018/10/29

الرزائل، وذلك بالعقيدة والعبادات والأخلاق الفاضلة، وهي أرفع أقسام التربية، فبقدر حصول الإنسان على هذه التربية يرتفع شأنه وتسمو نفسه.

وتربية العقل هذا الأخير يعرفه الأصمعي بالقول: « يقال عقل الرجل عقلاً، إذا كان عاقلاً »<sup>(1)</sup> وقال غيره: « سمي عقل الإنسان وهو تمييزه الذي فيه فارق الحيوان، عقلاً لأنه يعقله، أي: يمنعه من التورط في الهلكة كما يعقل العقال البعير عن ركوب رأسه »<sup>(2)</sup>، فالعقل شرط في معرفة العلوم وكمال صلاح الأعمال وبه يتحقق العلم والعمل، ولقد أولى القرآن الكريم والسنة الشريفة العقل العناية الكاملة فربياه التربية السليمة؛ أي بمعنى أن يكون أداة بناء ونماء، وليس أداة هدم وبلاء وإفساد، ولا توجد شريعة في المعمورة كرمت العقل وسمت به كالإسلام، بل إن القرآن الكريم ليكثر من استثارة العقل ليؤدي دوره المنوط به<sup>(3)</sup>.

وبالنسبة لتربية جسم الإنسان، الذي يعتبر - الجسم - الوعاء الذي يحفظ الروح والعقل، فالمحافظة عليه والاعتناء به هو في الحقيقة اعتناء بهذين الأمرين والمحافظة عليهما، وحينما نتحدث عن تربية الجسم وفق الرؤية الإسلامية فليس المقصود عضلاته فحسب وحواسه وأعضائه فقط، وإنما المقصود كذلك تلك الطاقة الحيوية التي تنبثق من الجسم والممثلة في مشاعر النفس وطاقة الانفعالات الحيوية، وكافة الدوافع الفطرية.<sup>(4)</sup>

ومنه نستنتج أن التربية تنمية للإنسان في أبعاده المختلفة؛ الروحي والعقلي والجسمي، للوصول بالإنسان نحو مراتب الكمال، ضمن مجتمع متضامن قائم على القيم العربية الإسلامية الثابتة.

(1) نقلا عن: عبد الحليم محمد حسين: تربية الإنسان في منهج القرآن، ص 13 ، 30. كتاب الكتروني اطلع عليه يوم:

<https://w.w.w.alukah.net/authors/view/home/5213>

PM:17:10 ، 2018/10/29

(2) المرجع نفسه، ص 30.

(3) المرجع نفسه، ص ص 31 ، 33.

(4) المرجع نفسه، ص 41.

## المبحث الثاني: التربية في الفكر الغربي (أفلاطون، جون جاك روسو، جون ديوي)

عاشت البلدان الغربية تجارب فلسفية وتربوية متنوعة وثرية، عبر تاريخها الفكري الطويل، مما جعلها دائرة لمختلف الاتجاهات الفلسفية والتربوية العالمية، والتي فرضت هيمنتها على مؤسسات التعليم والتربية والثقافة والمعرفيات، والتربية في الحقل الغربي فيها تجديد للمشاريع وفق متطلبات كل عصر.

والشيء الأهم هنا هو البحث والاستفادة، لتمكين العقل العربي من التفاعل معها لتكوين الخبرة، وذلك باتجاه تكوين محيط ثقافي عربي يشارك في صياغة اطار فلسفي لتجربتنا التربوية<sup>(1)</sup>. ومن الوجوه التي قدمت الكثير للتربية الغربية نجد؛ أفلاطون، جون جاك روسو، وجون ديوي، فما هي الملامح العامة للتربية عند هؤلاء ؟

### 1-أفلاطون:

لم ينشئ أي من الفلاسفة السابقون على أفلاطون\* مذهباً فلسفياً، فما قدموه في الحقيقة مجموعة من الأفكار والنظريات، فكان أفلاطون أول من أبدع مذهباً شاملاً عظيماً في الفلسفة لقد جمع الحصاد الكلي للفلسفة اليونانية<sup>(2)</sup>.

(1) محمد جلوب الفرحان: الخطاب الفلسفي التربوي الغربي، ط 1، الشركة العالمية للكتاب، بيروت- لبنان، (د ت)، ص 11 من المقدمة.

\* أفلاطون (428-347 ق.م): ولد في أثينا- أوفي ايجينيا- على أرجح الأقوال، وكان من أسرة أثينية عريقة في المجد، يذكر ديوجانس اللايرسي أن أفلاطون بدأ أولاً بدراسة الرسم ثم راح ينظم قصائد، أما عن دراسته الفلسفية فيعود الفضل الكبير لسقراط فقد تتلمذ على يده وهو في سن العشرين، وبعد موته - سقراط- سافر إلى قورينا ثم مصر، ولما عاد أفلاطون إلى أثينا حوالي سنة 388 ق.م ، أنشأ الأكاديمية، والتي يمكن أن تعد أول جامعة علمية أنشئت في أوروبا، ولعل أشهر مؤلفاته: محاورات أفلاطون. (انظر: عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، ج1، ط1، المؤسسات العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984)، ص 154 ، 156.

(2) ولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد، ط2 ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ، 1953، ص 143.

ومن العلماء والمفكرين من يلجأ إلى الماضي ليفكر، أما أفلاطون فيتطلع للمستقبل، ويضع نظام للمدينة الفاضلة، ويرى أن أول ما يجب عمله هو البحث عن حاكم صالح، وأن يتم إبعاد جميع الكبار وذلك لأن أساليب الكبار تفسد الشباب وتطبعهم بطابع الماضي، وبالتالي نعد الشباب رجالا كانوا أو نساء ضمن منهج تعليمي يمتد إلى عشرين عاما<sup>(1)</sup>.

ولذلك كانت الأكاديمية، والتي لم تكن أول مدرسة أنشئت في أثينا، لأنه كان هنالك السوفسطائيون، غير أن ما يميز أفلاطون عن هؤلاء هو أنه يقدم العلم لذاته، أما هم فكانوا يعلمون العلم كوسيلة لشيء آخر وهو الإعداد للحياة، وأفلاطون لم يكن يعدّ التلاميذ للحياة فقط؛ بل يعلم التلميذ أفضل صورة ينبغي أن تكون عليها حياته<sup>(2)</sup>، وفي هذا الصدد يتكلم أفلاطون على لسان سقراط ويقول: « التعليم، والتربية، فإذا تلقى مواطنونا العلم الصالح وكبروا ليصبحوا رجالا مدركين، فسيرون طريقهم بسهولة خلال كل هذا»<sup>(3)</sup>.

وبالتالي بالتربية يمكن أن يكون الأطفال مواطنين أكفاء، تقوم على أكتافهم الدولة الفاضلة، لأن التربية تكشف عن جوانب الإبداع وتتمى الاستعدادات الفطرية، ويصبح هؤلاء مواطنين أكثر خيرا ممن سبقوهم وتعقبهم أجيال أكثر استعدادا وكمالا من أولادهم، ولذلك « فالتربية عملية محورية في بناء المدينة الفاضلة»<sup>(4)</sup>.

ولقد ركز أفلاطون على النظام التعليمي التربوي في محاورة الجمهورية التي رسم فيها في الحقيقة معالم الدولة المثالية<sup>(5)</sup>، ففي كتاب "الجمهورية" نجد الطريقة التي يتم بها اختيار

(1) ول وإيرل ديورانت: قصة الحضارة، ت: محمد بدران، ج7 (حياة اليونان)، (د ط)، دار الجيل، بيروت - لبنان، (د ت)، ص 485.

(2) أحمد فؤاد الأهواني: في عالم الفلسفة اليونانية، (د ط)، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2009، ص ص 33 - 34.

(3) أفلاطون: المحاورات الكاملة، ت: شوقي داود تمارز، مج 1 الجمهورية (الكتاب الرابع)، د ط، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1994، ص 185.

(4) عبد الهادي محمد والي: تاريخ التفكير الاجتماعي، (د ط)، الناشر جامعة طنطا، مصر، 2006، ص 99.

(5) مصطفى النشار: مدخل جديد إلى الفلسفة، ط1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص 60.

طبقة الفلاسفة من سائر أصناف المواطنين؛ وذلك على أساس الكفاية والتجربة التربوية، « فلا علاج للمجتمع إلا بحكومة الفلاسفة، ولا سبيل إلى حكومة الفلاسفة إلا بنظام من التربية يبدأ من الصغر» (1).

وقد قسم أفلاطون المراحل التعليمية التربوية إلى أربعة مراحل:

**المرحلة الأولى:** والتي تكون فيها التربية واحدة للجميع إلى حوالي الثامنة عشر وتكون سهلة ولذيذة، وتكون فاضلة تبدأ بالقصص الجريئة الحاتة على الخير، وتستبعد منها قصص هوميروس وهوزيود، لأنها سممت عقول اليونان وأفسدت ضمائرهم بما تروي عن الآلهة والأبطال من الخصومات وقبيح الأفعال مما يوهن العزيمة<sup>(2)</sup>، دون أن ننسى تدريبهم على ممارسة الرياضة البدنية وذلك لسلامة أجسامهم.

**المرحلة الثانية:** فإذا ما بلغوا سن الثامنة عشرة انقطعوا عن الدراسة وتوجهوا إلى التمرينات العسكرية والرياضة البدنية طوال سنتين، فإذا ما بلغوا العشرين وأصبحوا أهلاً لتلقي العلوم والمعارف، فتجري لهم الدولة - ذكورا أو إناثا - امتحانا لاختيار القادرين على تحصيل العلوم العقلية، والمتخلفون في هذا الامتحان تسند إليهم الأشغال اليدوية ويصبحون من طبقة العمال، أما الناجحون فيتابعون تعليمهم ويتلقون العلوم الرياضية لمدة عشر سنوات أخرى<sup>(3)</sup>.

**المرحلة الثالثة:** إذا ما انقضت عشر سنوات أجرت لهم الدولة امتحانا عسيرا وذلك لاختيار من يدرس الفلسفة لخمس سنوات وهم النخبة، وهو امتحان لا يفوز فيه إلا أقلية من الأكفاء، أما المتخلفون فيولون مناصب الجيش وشؤون الدفاع<sup>(4)</sup>.

(1) محمد عبد الرحمان مرحبا: مع الفلسفة اليونانية، ط 3، منشورات عويدات، بيروت - باريس، 1988، ص 144.

(2) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، (د ط)، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، 1936، ص 125.

(3) محمد عبد الرحمان مرحبا: مع الفلسفة اليونانية، ص ص 144 - 145.

(4) المرجع نفسه، ص 145.

**المرحلة الرابعة:** وتبدأ من سن الخامسة والثلاثين، وتمتد حتى الخمسين وهي مرحلة التدريب العملي على الحكم حيث يزج بمن اجتازوا الامتحانات السابقة بنجاح، في الحياة العامة حتى يتعودوا الاتصال بالناس وحل مشكلاتهم، فيتولوا بذلك المناصب العليا في الدولة، ومن يجتاز هذه المرحلة بنجاح، فقد تميز في العمل كما تميز من قبل في التعليم النظري ومن ثم يكون جديراً ومؤهلاً لتولي مهام الحكم في المدينة الفاضلة<sup>(1)</sup>.

ومنه نستشف الهدف النهائي من هذا النظام التعليمي التربوي لأفلاطون والذي يبدو شاقاً؛ لكنه يعكس الرغبة الحقيقية لأفلاطون في تخريج الحكام الفلاسفة، ومن قبلهم الحراس الشجعان وقد زالت من نفوسهم بواعث الشرور والفساد، فتعلموا أن يكونوا أصفياء ينشغلون فقط بالدفاع عن المدينة الفاضلة، أو فلاسفة حكماء يتطلعون فقط إلى تأمل الحقيقة وفعل الخير لشعبهم، وبهذا تكون حكومة الفلاسفة التي هي محور المدينة المثالية لأفلاطون.

## 2- جون جاك روسو:

في بداية حديثي عن التربية لدى روسو\* ، أبدأ ذلك مستأنساً بهذا القول له حيث يقول: « إنني أتجه إليك أنت أيتها الأم الحصيصة الحنون التي عرفت كيف تتكبين الطريق المطروق وتحسين النبتة البائقة من عتو المواضعات البشرية ! . اسقي هذه النبتة الصغيرة وتعهديها قبل أن تموت، فيوما ما ستكون ثمراتها قررة عينك »<sup>(2)</sup>.

(1) مصطفى النشار: مدخل جديد إلى الفلسفة، ص ص 61 - 62.

\* جون جاك روسو (1712-1778م): ولد روسو في جنيف، في عائلة بروتستانتية من البرجوازية، التحق منذ نعومة أظفاره بمدرسة الحياة العملية كصبي لدى رب عمل قاس وفظ عرف بالتجربة ماذا يعني السوط والجوع، فاضطر وهو في سن 16 من عمره للهروب من عمله، عاش روسو حياته هائمة مليئة بالاذلال والبحث العقيم عن عمل دون جدوى كما مر من خلالها بمختلف الظروف القاسية، تعلم روسو الموسيقى وعلمها، وعمل أيضاً مستخدماً في مكتب وخادماً، ودخل عالم الفلسفة مزوداً بتجربة واسعة ومريرة في الحياة، من أهم مؤلفاته: العقد الاجتماعي، اميل أو في التربية. (انظر، يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، (د ط)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة - مصر، 2012)، ص ص 211 - 212.

(2) جان جاك روسو: إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، ت: نظمي لوقا، (د ط)، الشركة العربية للطباعة والنشر، (د ت)، ص ص 24 - 25.

فروسو هنا يؤكد لنا على أهمية التربية أي الاهتمام بالولد منذ البداية والتي - التربية - رسم معالمها من خلال كتابه "إميل أو في التربية 1762"، والذي ينظر إليه الكثيرون على أنه أعظم كتاب لروسو في تأسيس منهج تعليم للتلميذ وتحت توجيه مربي، ويقدم في هذا الكتاب مساهمات هامة في النظرية التعليمية<sup>(1)</sup>.

ويقال أن " كانت " الفيلسوف الألماني الشهير لما قرأ ما كتبه روسو انصرف إليه بكل قلبه، بالخصوص لما بدأ في مطالعة كتابه " إميل " أبي أن يغادر منزله في نزهته المعتادة قبل أن يفرغ من قراءته<sup>(2)</sup>.

يرى روسو أنه لا طائل من إطالة الكلام عن قيمة التربية الصالحة يقول: « ولن أتلكأ لأثبت أن التربية السائدة فاسدة، فقد سبقني إلى ذلك ألف إنسان، ولست أحب أن أحشو كتاباً بأمر يعلمها الناس كافة... وعلى كثرة تلك الكتب التي تزعم هدفها الأوحى النفع العام، نجد أن أشد الفنون جميعها منفعته، ألا وهو فن تكوين الرجال لم يزل رهين الإهمال»<sup>(3)</sup>؛ فالمستفاد من هذا أن روسو يرسم لنا ملامح برنامج تربوي غايته الأساسية تحرير الأطفال من استبداد توقعات الكبار، بحيث تتطور قدراتهم وملكاتهم دون قيد وفي الوقت المناسب لها<sup>(4)</sup>.

ولذلك رأى روسو بأولوية الرجوع إلى الطبيعة في التربية فيترك الطفل يربي نفسه بنفسه، والمقصود بذلك أن ينشأ حراً ويكون عضواً في دولة حرة، فما من وسيلة لتربية الطفل للحرية إلا بتربيته بالحرية، وهذا يعني أن التربية هنا يجب أن تكون سلبية ما أمكن، فنقتصر على معاونته الطفل في تربيته نفسه بنفسه، وتجنب كل ما شأنه أن يضيق عليه ويقيد، وإن

(1) وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ت: محمود سيد أحمد، ط 1، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 2010، ص 240.

(2) زكي نجيب محمود: قصة الفلسفة الحديثة، (د ط)، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1936، ص 258.

(3) جان جاك روسو: إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، ص ص 17-18.

(4) روبرت ووكلر: روسو مقدمة قصيرة جداً، ت: أحمد محمد الروبي، ط 1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة - مصر، 2015، ص 111.

قيل لنا بأننا بهذا نعرضه حسب روسو لأن يجرح نفسه ويتألم كان الجواب « فليكن إن الألم أول ما ينبغي أن يتعلمه، وهو بأكبر حاجة لأن يتعلمه»<sup>(1)</sup>. على أن المري لا يقف متفرجا إذا رآه يعرض حياته للخطر بقلة تجربته فينبهه وينهاه ولكن هذه الحالة نادرة.

فبرنامج التربية عند روسو يشمل على أربعة مراحل هي: حياة الطبيعة، الحياة العقلية، الحياة الخلقية، الحياة الدينية.

**المرحلة الأولى:** تمتد من الطفولة الأولى إلى الثانية عشرة، يركز المري جهده فيها على تكوين الجسم، وأن يحذر من إرادة إصلاح النفس وتكملها بالعادات، وأن العادة الوحيدة التي يجب أن يعلمها الطفل هي ألا يتخذ عادة، ويجتهد كذلك المري في أن يقصي الطفل عن جميع المؤثرات المصطنعة والمتمثلة في الأسرة والمجتمع والدين، وإلا لم تكن تربيته طبيعية<sup>(2)</sup>.

**المرحلة الثانية:** وتمتد من الثانية عشرة إلى الخامسة عشرة يتتقف الفتى فيها بالمعارف الطبيعية، وذلك أنه يتصل بالأشياء مباشرة، وأن يعلم كيفية الوصول بالملاحظة الشخصية إلى استكشاف ما هو أهم وضروري له في العلم والفن؛ فيعلم أشياء من الفلك والجغرافيا والكيمياء، ولا يلحق دروساً شفوية، وأن لا يسمح له بمطالعة الكتب فهي لا تعلمه إلا ألفاظاً، اللهم إلا كتاباً واحداً هو قصة "روينسون كروزي"، حيث يتعلم كيف يمكن أن يستغني عن الكتب، ثم يلحق حرفة يدوية<sup>(3)</sup>.

**المرحلة الثالثة:** وتبدأ ابتداء من الخامسة عشرة يعلم فيها الأخلاق من قبيل: الشفقة والمحبة وعرقان الجميل وضبط أهواء النفس، وفي الثانية والعشرون يمهد للزواج، ثم بأسفار

(1) نقلا عن: يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص 215.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

يفيد منها معرفة المجتمع ومحاسنه ومساوئه والحرف النافعة<sup>(1)</sup>.

**المرحلة الرابعة:** يتخذ حينها إميل ديناً يعرضه عليه قسيس يلقاه في سفره، « يستشيرهُ هو في الأمر وعقائد هذا الدين... وهي عقائد طبيعية... لا تستند إلى وحي من حيث إن في الوحي افتئاتاً على حقوق الشخصية ». <sup>(2)</sup>

وفي مؤاخذتي المتواضعة على رأي روسو هنا، هو أنه إجحاف في حق الوحي الرباني وما يختزنه وأنه ليس فيه ما يدل على تجني واستبداد على حقوق الشخص، وإن كان روسو مرتبط في تفكيره ببيئته الغربية.

ومما تقدم ذكره يمكن القول أن نظرة روسو للتربية هي عبارة عن فلسفة تسكنها روح فنان، والتي دعا إليها بحماسة المؤمن بأفكاره، وهو أن الطبيعة خير، ولذلك يدعوا روسو لمحبة الطفولة ورعاية مودتها وطبيعتها اللطيفة، فليت للإنسانية في حاضرنا آذانا صاغية؟

### 3-جون ديوي:

لم يكن ديوي\* ألبتة ما يمكن أن ندعوه فيلسوفاً محضاً، فقد كانت التربية بوجه خاص في صدر اهتماماته، ولقد كان له دوراً بارزاً وعميقاً على التربية الأمريكية<sup>(3)</sup>، ولعل الصفة المميزة لديوي هي محاولته استخدام منهج العلوم للتفكير في القيم، تفكيراً قد ينتهي إلى

(1) يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص 215.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

\* جون ديوي (1859-1952م): فيلسوف أمريكي براغماتي وعالم تربية وناقد اجتماعي، دخل جامعة فرمونت سنة 1875، التحق بالدراسات العليا بجامعة جونز هوكينز، حيث تعلم على يدي بيرس، مر بفترة هيجلية مثالية كان إبانها شديد الحماسة للإصلاح الاجتماعي، بعدما حصل على الدكتوراه عمل بجامعة متشجن سنة 1884، وبقي فيها عشر سنوات تراجع عن مثاليته واتجه اتجاهاً عملياً، وفي سنة 1894 عين أستاذاً ورئيساً لقسم الفلسفة بجامعة شيكاغو وهنا أنشأ ما يعرف بمعمل ديوي، وذلك للقيام بتجارب في علم النفس والتربية لتحقيق فروضه، وظل نشيطاً وافر الإنتاج حتى وفاته، من أهم مؤلفاته: المدرسة والمجتمع . (انظر، عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، ج 1)، ص ص 499، 502.

(3) برتراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية، ت: محمد فتحي الشنيطي، الكتاب الثالث (الفلسفة الحديثة)، (د ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1977، ص 477.

تغييرها بما يناسب ظروف الحياة الحاضرة، أو بعبارة أخرى اتخاذها من الفكر " ذريعة " للعمل على نحو يحقق للإنسان ما يبتغيه في مجتمع صناعي ديمقراطي، كالمجتمع الذي تعيش فيه الولايات المتحدة الأمريكية في عصرها الراهن.

وإذا كان أول حجر يوضع في بناء الديمقراطية هو التربية، من ثم كانت التربية أحد ميادينها التي خلق فيها وابتكر من خلال كتابه " المدرسة والمجتمع " (1) أخرجها عام 1889، في هذا الكتاب يشرح طرائقه التي كان يتبعها في مدرسته التجريبية الملحقة بالجامعة، وكان مبدأه الأساسي هو «أن يجعل من تلاميذ المدرسة مجتمعا صغيرا يشبه المجتمع الكبير في حياته ونشاطه» (2)، ثم تلا ذلك كتاب آخر في التربية أخرجها عام 1916، هو "الديمقراطية والتربية" يبين فيه أن التربية هي « العملية التي تعين الجماعات الإنسانية على استمرار وجودها لا بمجرد المحافظة على التقاليد القديمة ... بل بسرعة الموازنة بين نفسها وبين بيئتها، فتغير من نفسها بما يقتضيه تغير البيئة» (3).

ديوي في آرائه التربوية هاجم على السواء التصور السائد في المدارس الأمريكية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، القائل « بأن الطفل كائن سلبي، ومهمة التربية والتعليم هي فرض المعارف على ذهنه، كما هاجم النظرة الجديدة في أوروبا والمضادة لهذه، والقائمة على التمجيد العاطفي للطفل» (4)؛ يتضح لنا كما رأى ديوي أن كلتا النظريتين فاسدتين، فالنظرة الأولى بالغت بالاستعانة بذكاء الطفل الفطري، والثانية غفلت عن أن الطفل لا يزال في دور غير ناضج، ومن ثم رأى ديوي أن التربية « ينبغي أن تتولى الانتقال بالطفل والبالغ من تجربة غير ناضجة إلى تجربة أنضج قائمة على ذكاء الطفل أو البالغ

(1) زكي نجيب محمود: حياة الفكر في العالم الجديد، ط 2، دار الشروق، بيروت - القاهرة، 1982، ص 164.

(2) المرجع نفسه، ص 165.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، ج 1، ص 502.

ومهاراته، ووضع ديوي شعاراً لمذهبه التربوي وهو "تعلم بأن تعمل" <sup>(1)</sup>. فديوي هنا يربط بين عملية التعلم والعمل وهي صميم نظرة ديوي التربوية.

والتربية عملية متواصلة فالتربية أي تربية، بل قل كل تربية، تنشأ عن طريق اشتراك الفرد في الوعي الاجتماعي للجنس البشري، وهذا الوعي ينشأ في الحقيقة لاوعياً من وقت الميلاد تقريباً ويستمر على نحو موصول في تشكيل قوى الفرد: عاداته وأفكاره ومشاعره <sup>(2)</sup>.

التربية " فلسفة، علم، وفن "؛ بحث ديوي في التربية من هذه الجهات الثلاث <sup>(3)</sup>، انطلاقاً من هذه الرؤية ومن نقده للتربية الغربية القديمة بسلبياتها في الاتجاه وميكانيكيتها في حشد الأطفال وتجانسها في المناهج والطريقة، ومن الممكن تلخيص ذلك كله بالقول: « بأن مركز الجاذبية واقع خارج الطفل إنه في المعلم، في الكتاب المدرسي ... عدا أن يكون في غرائز الطفل وفعالياته بصورة مباشرة وعلى تلك الأسس فليس هناك ما يقال عن حياة الطفل» <sup>(4)</sup> يضيف ديوي بالقول: « نرى أن التغيير المقبل في تربيتنا هو تحول مركز الجاذبية فهو تغير أو ثورة ليست غريبة عن تلك التي أحدثها كوبرنيكوس عندما تحول المركز الفلكي من الأرض إلى الشمس، ففي هذه الحالة يصبح الطفل الشمس التي تدور حولها التربية وهو المركز الذي ننظمها حوله» <sup>(5)</sup>.

يتعلم الطفل في البداية من خلال التخاطب الاجتماعي ومن تركيب الأسرة، فحين تثار استفهامات وتبحث مسائل في المحادثات الجارية حوله، يتعلم بصورة مستمرة وهو يقرر خبراته فيصح ما يخطأ فيه من المعاني، وبالتالي من خلال مشاركته في مشاغل أعضاء

(1) عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، ج1، 502.

(2) جون ديوي: قاموس جون ديوي للتربية (مختارات من مؤلفاته)، ج: رالف ف. وين، ت وت: محمد علي العريان، (د ط)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة - نيويورك، 1964، ص 55.

(3) أحمد فؤاد الأهواني: جون ديوي، ط 3، دار المعارف، القاهرة، 1987، ص 35.

(4) جون ديوي: المدرسة والمجتمع، ت: أحمد حسن الرحيم، ط 2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، 1978، ص 32.

(5) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الأسرة يكتسب ويتعلم المواظبة واحترام حقوق الآخرين، وتتسع حياة الطفل خارج البيت، فيتجه إلى الحديقة والغابات، وستكون له رحلاته وأحاديثه التي ستفتح أمامه رحاب العالم الواسع، كما يجب أن يوسع من اتصال الطفل بالبالغين والأطفال لكي تكون حياته الاجتماعية أكثر حرية وثراءً معرفياً، وهنا تظهر الحاجة للمدرسة<sup>(1)</sup>.

فتصبح حياة الطفل الغرض الوحيد المسيطر، وهنا في الحقيقة تتركز البيئات الضرورية لتقدم نمو الطفل، يقول ديوي: « وماذا يقال عن التعلم؟ إنه موجود بكل تأكيد ولكن الحياة هي الشيء الأساس، أما التعلم فيأتي عن طريق علاقته بالحياة وخلالها،... فلا نجد الطفل مخلوقاً للأصفاة بالدرجة الأولى بل نجده على النقيض من ذلك<sup>(2)</sup>. الاستفادة من هذا أن الحياة الاجتماعية والتي تسكنها روح الحرية هي المدرسة الأوسع بالنسبة للتعلم.

ويركز ديوي على معنى " الاستخراج " في التربية؛ وهو تعبير ممتاز إذا أردنا أن نقارنه مع عملية " السكب " التي يعارضها ديوي، لكن على البالغ أن يتعامل مع الطفل بحذر ومهارة لكي يستخرج منه، ما يصطلح عليه ديوي جرثومة الفعالية المخفية، لأن الطفل بطبيعته فعال إلى درجة كبيرة، ومسألة التربية هي السيطرة على فعالياته وإمدادها بالتوجيه الصحيح نحو النتائج القيمة.

ومن الواجب أن يدرس الطفل الحساب والجغرافيا التجارية، ولكن ليس بوصفها أشياء معزولة بنفسها، ولكن بالإشارة أو بالرجوع إلى محيطها الاجتماعي، كذلك دراسة الأشياء الطبيعية كالعلاقات والعلاقات، وأن مشكلتنا التربوية هي أن نوجه قوة الملاحظة لديه وننمي له ولعاً نحو الصفات الخلقية<sup>(3)</sup>.

(1) جون ديوي: المدرسة والمجتمع، ص ص 54 - 55.

(2) المرجع نفسه، ص 55.

(3) المرجع نفسه، ص 56، 85، 140.

من خلال ماسبق ذكره يمكن القول أن المعيار الذي نثمن به التربية وبالخصوص المدرسية حسب نظرة جون ديوي؛ هو ما تخلفه من الرغبة في النمو المتصل، وما توفره من الوسائل المختلفة لتنفيذ وتجسيد تلك الرغبة في الواقع، لتبقى مدرسة الحياة أوسع بكثير بما تنطوي عليه من تجارب وخبرات.

## المبحث الثالث: التربية في الفكر العربي (أبو حامد الغزالي، ابن خلدون، مالك بن نبي)

يلتفت العديد من المفكرين والفلاسفة إلى التربية، وفي البلدان العربية كذلك، ويزداد اليقين يوماً بعد يوم بأن أزمة المجتمع العربي الفكرية هي أزمة التربية أولاً، وأن أزمة التربية هذه تترد إلى عجزنا عن تكوين الإنسان المنشود، وأضحى من اللازم أن نضطلع بهذا الدور في بناء فلسفة تربوية ملتزمة بالفلسفة الاجتماعية المنشودة<sup>(1)</sup>، لذلك سنتناول بعض الوجوه اللامعة ممن قدموا مفاهيم تربوية جديرة بالدراسة والتحليل في هذا الميدان نذكر منهم: أبو حامد الغزالي، ابن خلدون، مالك بن نبي. فما هي الملامح العامة للتربية عند مفكرينا الذين تم ذكرهم؟

### 1- أبو حامد الغزالي:

كان العلم يطلق على العلم بالله تعالى وبآياته وأفعاله في عبادته وخلقه، حتى أنه لما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رحمه الله: «لقد مات تسعة أعشار العلم»<sup>(2)</sup>، وللعلم فضل وشواهد من القرآن والسنة، قوله عز وجل: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ﴾. (سورة آل عمران، الآية 18). ومن السنة قول ابن عباس رضي الله عنه: «للعلماء درجات فوق المؤمنين...»<sup>(3)</sup>.

فللعلم الموصل للتربية الصحيحة الأخلاقية عند أبو حامد الغزالي\* مكانة مهمة جداً،

(1) عبد الله عبد الدايم: نحو فلسفة تربوية عربية، ط 2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، 2000، ص 15.

(2) أبي حامد الغزالي: إحياء علوم الدين (كتاب العلم)، ط 1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 2005، ص 43.

(3) المرجع نفسه، ص 11.

\* أبو حامد الغزالي (450-505هـ/1059-1111م): ولد بطوس بخراسان (شمال شرقي فارس)، درس في نيسابور وأخذ العلم عن الجويني إمام الحرمين، في عام 488هـ ترك منبر النظامية مدرسة بغداد حيث علم وبرز، وعزم على الخروج إلى مكة حاجاً، واعتزل في خلوة عميقة، ارتضى بالعودة للتدريس في المدرسة النظامية بنيسابور لكنه لم يطل المكوث بها، بل اختلى بصورة نهائية في مسقط رأسه ليقف نفسه حتى موته على التقى والتعليم الخاص بين تلاميذته رحمه الله، من أبرز مؤلفاته: إحياء علوم الدين، المنقذ من الضلال. (انظر، جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة)، ص 430.

حيث يقول: « ولاحظت أعمالي - وأحسنها التدريس والتعليم »<sup>(1)</sup>، ويقول كذلك: « معنى التربية يشبه فعل الفلاح، الذي يخرج الشوك ... ليحسن نباته ويكمل ريعه »<sup>(2)</sup>.

فالتربية عنده تبدأ من الأسرة، والصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما يوجه إليه، « فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة...، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له »<sup>(3)</sup>، وعلى الأب أن يصونه عن نار الدنيا وكذلك نار الآخرة وهي أولى، وصيانتها هي « أن يأدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق »<sup>(4)</sup>.

وللولد نحو والديه آداب وهي « أن يسمع كلامهما، ويقوم لقيامهما، ويمتثل لأمرهما ... ويخفض لهما جناح الذل من الرحمة... ولا يمن بالبر لهما، ولا بالقيام بأمرهما، ولا ينظر إليهما شزراً ولا يعصي لهما أمراً »<sup>(5)</sup>.

ويقدم الغزالي منهاجاً تربوياً علمياً وعملياً لتنشئة الطفل وهو عبارة عن؛ نصائح وأساليب في آداب المعلم والمتعلم والتي تقوم على أسس إسلامية.

أما المتعلم فأدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنظم تفاريقها عشر جمل:

1- تقديم طهارة النفس عن رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف، إذ « العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن إلى الله تعالى »<sup>(6)</sup>.

(1) أبي حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، ط1، دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة، 2013، ص 94.

(2) نقلا عن: يوحنا قمير: فلاسفة العرب الغزالي (دراسة - مختارات)، ج 2، ط3، منشورات المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1966، ص 38.

(3) أبي حامد الغزالي: إحياء علوم الدين (كتاب رياضة النفس)، ص 955.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) أبي حامد الغزالي: مجموعة رسائل الإمام الغزالي، ت: إبراهيم أمين محمد، (د ط)، المكتبة التوفيقية، القاهرة - مصر، (د ت)، ص 444.

(6) أبي حامد الغزالي: إحياء علوم الدين (كتاب العلم)، ص 60.

- 2- أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الأهل والوطن فإن العلائق شاغلة صارفة ولذلك قيل: « العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك »<sup>(1)</sup>.
- 3- أن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على معلم بل يلقي إليه زمام أمره بالكلية في كل تفصيل « ويدعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق »<sup>(2)</sup>.
- 4- أن يتجنب طالب العلم الخوض في مبدأ الأمر للإصغاء إلى اختلاف الناس، سواء كان ذلك من علوم الدنيا أو الآخرة، فإن ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه، فينبغي أن يتقن أولاً الطريق الحميدة عند أستاذه ثم بعد ذلك يصغي إلى المذاهب.
- 5- أن لا يدع طالب العلم فناً من العلوم المحمودة ولا نوعاً من أنواعه إلا وينظر فيه، فالعلوم متعاونة ومرتبطة.
- 6- أن لا يخوض في فن من فنون العلم دفعة واحدة، بل يراعي الأهم فإن العمر لا يتسع لجميع العلوم غالباً، وبصرف جميع قوته في الميسور من علمه إلى استكمال العلم الذي هو أشرف العلوم وهو علم الآخرة.
- 7- أن لا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله، فالموفق من راعى الترتيب والتدرج.
- 8- أن يعرف السبب الذي به يدرك أشرف العلوم، وأن ذلك يراد به شيان: أحدهما شرف الثمرة، والثاني وثاقة الدليل وقوته، « وذلك كعلم الدين وعلم الطب، فإن ثمرة أحدهما الحياة الأبدية وثمره الآخر الحياة الفانية، فيكون علم الدين أشرف، ومثل علم الحساب وعلم النجوم، فإن علم الحساب أشرف لوثاقته أدلته وقوتها »<sup>(3)</sup>.
- 9- أن يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة، وفي المآل القرب من الله سبحانه وتعالى والترقي إلى جوار الملائكة والمقربين، ولا يقصد به الرياسة و

(1) أبي حامد الغزالي: إحياء علوم الدين (كتاب العلم)، ص 62.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المرجع نفسه، ص 62 ، 65.

المال والجاه<sup>(1)</sup>؛ ويجب مخالفة الأمراء والسلاطين، فلا تراهم لأن رؤيتهم ومجالستهم ومخالطتهم آفة عظيمة ولو ابتليت بها دع عنك مدحهم وثناءهم<sup>(2)</sup>.

10- أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد كما يؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره - ومعنى المهم ما يهكم - ولا يهكم إلا في شأنك في الدنيا والآخرة.

أما فيما يخص وظائف المرشد المعلم نذكر منها:

- 1- أن يُجرى المتعلم منه مجرى بنيه، كما قال عليه الصلاة والسلام: « إنما أنا لكم مثل الوالد لولده »<sup>(3)</sup>.
- 2- أن يقتدي بصاحب الشرع محمد صلى الله عليه وسلم، فلا يطلب على إفادة العلم أجراً، ولا يقصد بتعليمه جزاءً ولا شكوراً، بل يعلم لوجه الله تعالى، وطلباً للتقرب إليه.<sup>(4)</sup>
- 3- أن لا يدخر شيئاً من نصح المتعلم وزجره عن الأخلاق الذميمة، وأن ينبهه إلى غاية العلوم وهي السعادة الأخروية.
- 4- أنه ينبغي أن ينهى عما يجب النهي عنه بالتعريض لا بالتصريح، لأن التعريض يؤثر في الزجر، والتصريح بالزجر مما يعزى بالمنهي عنه<sup>(5)</sup>.
- 5- أن يذكر للمتعلم القاصر ما ينبغي أن يذكر له؛ أي ما يحتمله فهمه، ولا يذكر له أن ما وراء ما ذكرت لك تدقيقاً أدخره عنك؛ فإن ذلك يفتر رأيه في تلقف الجلي ويشوش عقله.
- 6- أن يكون المعلم عاملاً بعلمه فلا يكذب قوله فعله<sup>(6)</sup>.

(1) أبي حامد الغزالي: إحياء علوم الدين (كتاب العلم)، ص 65.

(2) أبي حامد الغزالي: أيها الولد المحب، ت: أبو سهل نجاح عوض صيام، (د ط)، دار المقطم للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، 2010، ص 43.

(3) أبي حامد الغزالي: ميزان العمل، ت: سليمان دنيا، ط 1، دار المعارف، مصر، 1964، ص 363.

(4) يوحنا قمير: فلاسفة العرب الغزالي (دراسة - مختارات)، ج 2، ص 43.

(5) أبي حامد الغزالي: ميزان العمل، ص ص 365-366.

(6) يوحنا قمير: فلاسفة العرب الغزالي (دراسة - مختارات)، ج 2، ص ص 43-44.

مما سبق ذكره يمكن القول أن التربية عند أبو حامد الغزالي فلسفتها واضحة، تعمل على تحقيق السعادة في الدارين الأولى والآخرة، هذه الأخيرة في الحقيقة هي التي يسعى إليها الغزالي وجميع الخلق؛ من خلال منهجه التربوي الذي رسم معالمه لطالب العلم، بمعادلة التوازن بين العلم والعمل فهما متكاملان.

## 2- ابن خلدون:

اتبع ابن خلدون\* مذهباً جديداً، وهو الذي ابتدعه وسبق به عصره ونعني بذلك المذهب الاجتماعي؛ فهو يعتبر أن الإنسان حيوان اجتماعي مفكر، خاضع لقوانين اجتماعية والتي تربطه ببني جنسه، وتطبعه سمة التعاون مع إخوانه، والاجتماع هو المهيب لذلك التعاون، « وعن هذا الفكر تنشأ العلوم »<sup>(1)</sup>.

والتعليم عند ابن خلدون ضروري وطبيعي في البشر لحاجة الإنسان إلى معرفة العلوم المختلفة، والتي لا تتيسر بالفهم والوعي فقط، بل بملكة خاصة « والحصول على هذه الملكة في العلم أو الفن يكون بالتعليم، ولذا كان السند في التعليم ... إلى مشاهير المعلمين فيها معتبراً عند أهل كل أفق وجيل »<sup>(2)</sup>.

ولابن خلدون مكانة هامة في التدريس، فعندما وصل القاهرة وهو في الثانية والخمسين

\* ابن خلدون (1332 - 1406 م): هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ولد في تونس، في أسرة متضلعة بالثقافة الإسلامية، وتلقى دروسه في شتى علوم الإسلام في تونس، ثم في مدرسة غرناطة، ولما عاد إلى مسقط رأسه عمل في بلاط السلاطين الحفصيين، وخلال خمسة عشر عاماً من التمرس السياسي عرف تقلبات شتى، ومنها الحبس لمدة عامين، وقد أرغمه الصراع بين الحفصيين والمرينيين على مغادرة تونس، وطلب الخلوّة في الجزائر، في قلعة بني سلامة حيث حرر في بضعة أشهر المقدمة، ارتحل عام 1382 إلى مصر حيث تولى التدريس، وكانت وفاته بالقاهرة رحمه الله، ولعل من أبرز مؤلفاته ما ذكرناه آنفاً وهو كتاب مقدمة ابن خلدون . (انظر، جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، ص22).

(1) أحمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام، (د ط)، دار المعارف، مصر، 1968، ص 248.

(2) المرجع نفسه، ص 248.

من عمره، والذي سبقته إليها أخباره ومؤلفاته، قد وجد نفسه معروفًا مشهورًا هناك<sup>(1)</sup>، فأقبل عليه العلماء والطلاب من كل صوب، يقول ابن خلدون في كبرياء وتواضع معا: « وانثال علي طلبه العلم بها يلتمسون الإفادة مع قلة البضاعة، ولم يوسعوني عذرًا »<sup>(2)</sup> ، فجلس للتدريس بالجامع الأزهر، وأعجب به وبفصاحته وبقوة حجته وواسع اطلاعه طلبه الأزهر<sup>(3)</sup>.

فانتشار التعليم، وتقدم العلم متوقفان على الحضارة، وعلى نسبة عمران الأمصار، والتفاوت بين الناس ناشئ عن حصول الملكات بواسطة التعليم، على عكس ما يعتقد البعض من أن هذا التفاوت راجع إلى اختلاف في حقيقة الإنسانية، نريد التأكيد على نقطة مهمة هنا وهي ما يراه ابن خلدون من أن « تعليم الصغر أشد رسوخا، وهو أصل لما بعده »<sup>(4)</sup> ، وهذا مما أخذ به جميع المفكرين في الحقل العربي الإسلامي<sup>(5)</sup>.

ولابن خلدون آراء ونصائح تعليمية وهي؛ أنه لا بد أن يراعى لدى المتعلم قدرة الذاكرة على الحفظ، وقدرة العقل على الفهم ورغبة التعلم، يراعي - ابن خلدون - قدرة الذاكرة إذ يقسم العلوم إلى: « غائية مقصودة لذاتها كالكلام والإلهيات، وإلى آلية كالنحو والمنطق، ثم يدعو إلى الاكتفاء من العلوم الآلية بالضروري، لأن الاستبحار فيها تضييع للعمر، وعائق عن تحصيل العلوم الغائية »<sup>(6)</sup>.

ويراعي قدرة الذاكرة، إذ ينهى عن تكليف المتعلم تحصيل علمين غائبين معًا، فهو لا يستطيع الظفر بهما، بل بالأحرى أن يظفر بأحدهما.

(1) محمد عابد الجابري: فكر ابن خلدون العصبية والدولة، ط 6، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، 1994، ص 36.

(2) نقلا عن: محمد عبد الله عنان: ابن خلدون حياته وتراثه الفكري، ط 1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1933، ص 66.

(3) محمد عابد الجابري: فكر ابن خلدون العصبية والدولة، ص 36.

(4) أحمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام، ص 249.

(5) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(6) يوحنا قمير: فلاسفة العرب ابن خلدون (مقدمة ابن خلدون دراسة - مختارات) ، ط 3، منشورات المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1966، ص 33.

ويراعي قدرة الذاكرة، إذ يرى أن كثرة التأليف في العلم الواحد مضرة بالتعليم لأنها تكثر الاصطلاحات وتعدد الطرق فتعسر على الحفظ، فيفنى عمر الطالب دون الإحاطة بجميع ما كتب في ذلك العلم أو الفن.

أما قدرة العقل على الفهم فيراعيها ابن خلدون وينصح بثلاثة أشياء:

- 1- ينصح بتدريب المتعلم، بأن تلقى عليه أصول العلم أولاً ثم تعرض وجوه الخلاف.
- 2- الإحجام عن استعمال المختصرات في التعليم؛ « فاختصار الألفاظ وحشو قليلها بالمعاني الكثيرة يجعلها أعسر على الفهم، لخلوها من التكرار الضروري وحاجتها إلى التأمل، أما الكتب البسيطة المطولة فأسهل وأنفع »<sup>(1)</sup>.
- 3- ينصح بالرحلة في طلب العلم، ولقاء شيوخ العلم، لأن المباشرة أقوى رسوخاً، وتجعل طالب العلم يميز بين ما هو اصطلاحات وما هو طريقة خاصة وبين العلم نفسه، فيصفو الفهم ويعمق.

أما بالنسبة لرغبة المتعلم في تحصيل العلم، فينصح ابن خلدون بتجنب الشدة عليه والعسف والقهر، سيما في مراحل الأولى؛ فالقهر يذهب بالنشاط ويدعو إلى الكسل<sup>(2)</sup>، وهذا ما يؤكد في قوله: « وذلك: أن إرهاف الحد في التعليم مضر بالمتعلم، سيما في أصغر الولد »<sup>(3)</sup>.

ولم يقف ابن خلدون عند اقتراح أساليب معينة تساعد المتعلم في طلبه للعلم، بل انتقد كذلك أساليب التعليم السائدة في عصره، ونسب للمعلمين الجهل بطرق التعليم؛ ذلك أن الطريقة الشائعة عندهم تقوم على تعليم الطالب " المسائل المقلدة "، ومطالبته بحلها

(1) يوحنا قمير: فلاسفة العرب ابن خلدون (مقدمة ابن خلدون دراسة - مختارات)، ص ص 33 - 34.

(2) المرجع نفسه، ص 34.

(3) عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، (د ط)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 2007، ص 590.

وتحصيلها، بالإضافة لما يقدمونه له من أدق المقررات وأعمق المبادئ، دون الاستعداد لفهمها وهم يعتقدون في ذلك مراناً وصواباً في التعليم<sup>(1)</sup>.

واستحسن ابن خلدون الطريقة التي اقترحها القاضي أبو بكر العربي، وطريقته تقوم على « البدء بعلوم اللغة والأدب، ثم الانتقال للحساب ثم الانتقال إلى القرآن الكريم فيتيسر بذلك للمتعلم فهمه، ثم أصول الفقه ثم الجدل في الحديث وعلومه »<sup>(2)</sup>.

لكنه أدرك أن لهذه الطريقة خطورة وهي أنه إن لم يتابع المتعلم دراسته فلن يصل إلى مرحلة دراسة القرآن الكريم<sup>(3)</sup>. والذي يقول عنه: « اعلم: أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه... وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعده من الملكات »<sup>(4)</sup>.

مما تقدم ذكره يمكن استخلاص النقاط التالية:

- ربط ابن خلدون التعليم بالحضارة، فبتقدم الحضارة يتقدم التعليم.
- ابن خلدون أول من نظر للمجتمع نظرة علمية يربطه التربية والتعليم بالحياة الاجتماعية.
- اهتم بجميع جوانب طالب العلم؛ دينياً، وخلقياً، وفكرياً، واجتماعياً.

### 3- مالك بن نبي:

أبرز الكثير من منظري الفعل الحضاري أنه لا بد من وجود فكرة هي الأساس لقيام

(1) ماجد عرسان الكيلاني: تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ط 2، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، دار التراث، المدينة المنورة، 1985، ص 232.

(2) المرجع نفسه، ص 233.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، ص 588.

الحضارة، وهي أيضا الضمان لاستمرارها، ومفكرنا مالك بن نبي\* يقدم أهمية الفكرة للحضارة على العديد من الأمور<sup>(1)</sup>، حيث يقول: « ومن المعلوم أنه حينما يبتدئ السير إلى الحضارة، لا يكون الزاد بطبيعة الحال من العلماء والعلوم، ولا من الإنتاج الصناعي أو الفنون، تلك الأمارات التي تشير إلى درجة ما من الرقي، بل إن الزاد هو " المبدأ " الذي يكون أساساً لهذه المنتجات جميعاً »<sup>(2)</sup>.

فكل حضارة تقوم على دعائم تشكل في مجموعها مضمون هذه الحضارة، ولا يمكن أبداً أن تستقيم هذه الحضارة، ما لم تنتقل هذه الأسس من جيل لآخر يتوارثها ويتحرك بها للمحافظة وتحسين حضارته<sup>(3)</sup>.

ولعل العقيدة الدينية ترتبط بحياة الإنسان وتصرفاته، فهي تقوم بدور كبير في بعث الحضارة، فلما جاء الإسلام بأسسه ومبادئه الخالدة والتي هي في الحقيقة مثل شُعلة من النشاط والحيوية، انتقلت بالإنسان العربي المسلم إلى قمة الحضارة<sup>(4)</sup>، قال تعالى: ﴿ أَوْ مَن كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . (سورة الأنعام ، الآية 122).

\* مالك بن نبي ( 1905 - 1973م): مفكر نهضوي ولد في قسنطينة بالجزائر، في أسرة متواضعة، وأتم دراسته الثانوية في مسقط رأسه ودراسته العالية في باريس، حيث حصل على الدبلوم في الهندسة الكهربائية، وشغل بعد استقلال الجزائر منصب مدير التعليم العالي، طاف ببلدان عربية وإسلامية كثيرة، دعا إلى إقامة " كومنولث إسلامي " ، من أشهر مؤلفاته: الظاهرة القرآنية، شروط النهضة، الصراع في البلاد المستعمرة، وبالإجمال يمكن القول بأن مالك بن نبي أبرز مفكر عربي عني بالفكر الحضاري منذ ابن خلدون. (انظر، جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، ص 35).

(1) هاشم بن علي بن أحمد الأهدل: أصول التربية الحضارية في الإسلام، ط 1، الناشر مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض - السعودية، 2007، ص 224.

(2) مالك بن نبي: شروط النهضة، ت: عبد الصبور شاهين، ط 2، دار الفكر، سورية - دمشق، 1986، ص 50.

(3) هاشم بن علي بن أحمد الأهدل: أصول التربية الحضارية في الإسلام، ص 224.

(4) المرجع نفسه، ص ص 224 - 225.

وفي حديث مالك بن نبي على التربية في وطنه الجزائر يقول: « يجب على التربية أن تفهم الجيل الفتى أن درب الحرية يمر بين أقصى طرفين هما: المحافظة المفرطة التي تفضي إلى تحجر الفكر...، وتعتمد (عدم المحافظة) بطريقة منهجية، مما يؤدي إلى فوضى الأشخاص، والأشياء، والأفكار »<sup>(1)</sup>؛ بن نبي هنا يريد تبصير القارئ على الشأن التربوي، بأنه لا إفراط ولا تفريط في مضامين التربية.

فمهمة تربيتنا المدرسية، إنما تتمثل في تبصيرها لنا بأنه: ليس هناك (شيء سهل)، وليس هنالك (شيء مستحيل)، بل كل ما في الأمر هو أنه لكل مشكلة واقعية حلها بالجهد الذي تتطلبه، ويطلق مالك بن نبي العنان لمنطق التفاؤل ويقول: « لقد حان الأوان لكي نتحرر من جميع ضروب العطالة التي توقف الجهد، ومن سائر أعذار العطالة، التي تبرز كسلنا »<sup>(2)</sup>.

فالمسلم به أن المجتمع لا يستطيع أن يغير ذاته، إذا هو لم يبدأ أولاً بتغيير الإنسان من حيث سلوكه وأفكاره، ومنه يدعو مالك إلى التربية الاجتماعية لضمان بناء الإنسان بناءً سليماً ومتكاملاً، من خلال تربية ترتكز على الفكرة الدينية وتجعلها الأساس والموجه، ومن التربية الاجتماعية ميداناً لتجسيد مبادئ وقيم الإنسان المتحضر، « والتربية الاجتماعية ليست عبارة عن أمور نظرية أو قواعد مجردة وإنما هي في جوهرها قيم أخلاقية وثقافية نابعة من أصالة المجتمع وتاريخه »<sup>(3)</sup>.

وأهم مضمون للتربية الاجتماعية هو تغيير الفرد نفسه، لأن كل ما يغير الفرد يغير المجتمع، وكل ما يبني الفرد يبني المجتمع، وكل عمل في الاتجاه المعاكس فهو هدم للبناء ككل، « والتربية كإعداد وتشكيل لقيم ومهارات واتجاهات الأفراد بما ينسجم وحاجات البناء

(1) مالك بن نبي: القضايا الكبرى، إشراف ندوة مالك بن نبي، ط 2، دار الفكر، دمشق - سوريا، 2002، ص 110.

(2) المرجع نفسه، ص 111.

(3) العابد ميهوب: الفكر التربوي عند مالك بن نبي، (أطروحة غير منشورة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة - الجزائر، 2013/2014)، ص 276.

هي تربية للمجتمع تتأثر بالبناء القائم وتؤثر فيه في حالة إعادة بنائه»<sup>(1)</sup> ، فالفرد بإدماجه في شبكة العلاقات الاجتماعية يجب أن نغير فيه؛ أساسا الصفات النوعية الخاصة بالفرد، إلى صفات إجتماعية تحدد معالم ( الشخص )؛ أي بمعنى الانتقال به من طاقات غريزية إلى طاقات إجتماعية وذلك بفضل تكييفه، وبمعنى أوضح تغيير الطاقة الحيوية المنطلقة بواسطة الغرائز إلى طاقة اجتماعية خاضعة لمراقبة الانعكاسات المتكونة على الفرد بفضل تكييفه.

ويجب أن نعرف أن الهدف من التربية حسب مالك بن نبي ليس أن نعلم الناس، أن يقولوا أو يكتبوا أشياء جميلة، بل الهدف هو أن نعلم كل فرد فن الحياة مع أقرانه يقول: « أعني أن نعلمه كيف يتحضر »<sup>(2)</sup> ، فإذا ما أمكننا تصور التربية الاجتماعية في نطاق هذه المصطلحات لخصناها بالتالي في كلمة واحدة هي: الثقافة<sup>(3)</sup> .

وإذا نحن حاولنا أن نحدد الثقافة بمعناها التربوي، « فيجب أن نوضح هدفها وما تتطلبه من وسائل التطبيق »<sup>(4)</sup> ، ومنه يرى بن نبي أن كل ثقافة هي بالضرورة تركيب وتأليف لعالم الأشخاص، وهذا التأليف يأخذ طابع فلسفي - أخلاقي، وبناء على ذلك تكون الفلسفة الأخلاقية هي أول المقومات في الخطة التربوية<sup>(5)</sup> .

وفي حديث بن نبي عن الطفل يرى أنه إنسان منعزل في طريقه إلى الاندماج، ولا بد له أن يمر بهذه السياقات حتى يحقق اندماجه المناسب، وغني عن التوضيح أن العائلة والمدرسة تساعدانه في ذلك؛ هذه المساعدة الاجتماعية يجب أن تعمل بطريقة تختصر

(1) العابد ميهوب: الفكر التربوي عند مالك بن نبي، ص 276.

(2) مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ت: عبد الصبور شاهين، ج 1، ط 3، دار الفكر، دمشق - سوريا، 1986، ص ص 81 ، 99.

(3) المرجع نفسه ، ص 99.

(4) مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، ت: عبد الصبور شاهين، ط 4، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، 1984، ص 77.

(5) علي صباغ: معالم تربوية في الفكر الحضاري عند مالك بن نبي، (مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية مركز جيل البحث العلمي، العدد 1، لبنان، أكتوبر، 2013)، ص 19.

وتكتمل عملية اندماج الطفل، فهو عندما يرى النور تكون الأشياء والأشخاص والأفكار منتظمة حوله في ثلاثة عوالم غريبة عنه، ثم يبدأ بالتدرج يشعر حوله بعالم من الأشياء ممثلاً في يده وأصابعه، في هذه المرحلة ليس لديه بعد أي إدراك لعالم الأشخاص، إنه لا يتعرف على نفسه ككيان مكتمل لأنه ليس لديه بعد أي إحساس محدد عن (أناه)، وحتى في السنة السادسة بعد أول يوم دخول للمدرسة بالنسبة إليه تجربة قاسية جدا في عالم من الأشخاص غريبا عنه، وهو لا يندمج إلا تدريجياً<sup>(1)</sup>.

واطراد اندماج الطفل في المجتمع هو بيولوجي ومنطقي في آن واحد، إنه يشتمل على أعمار ثلاثة:

- 1- العمر الذي يكتشف فيه تلقائياً عالم الأشياء وهو يلعب بأصابعه.
- 2- العمر الذي يكتشف فيه عالم الأشخاص وهو يتعرف فيه على وجه أمه بداية.
- 3- العمر الذي يكتشف فيه أخيراً عالم الأفكار، وهذا الكشف الأخير هو الذي يهمننا أن نتناوله هنا بالتحليل<sup>(2)</sup>.

فدخول الطفل عالم الأفكار يبدأ من اللحظة التي يتمكن فيها من تكوين روابط شخصية مع مفاهيم تجريدية يقول بن نبي: « إن علينا أن نرى طفلاً يفشل في مسألة صغيرة لتقدر المجهود باليأس أحياناً في اقتحام باب هذا العالم<sup>(3)</sup> »، وهذه المشكلات تمر على العموم دون أن تتفطن لها الأسر والمدارس، لكن الطفل يكشف له يوماً ما تفكيره وعقله سبيلاً لقهورها فيجد لها الحل وحده<sup>(4)</sup>.

(1) مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ت: بسام بركة وأحمد شعبو، ط 2، دار الفكر، دمشق - سوريا،

2002، ص ص 28 - 29.

(2) المرجع نفسه، ص 30.

(3) المرجع نفسه، ص 31.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

مما تقدم ذكره يمكن القول أن هذه التربية التي رسم معالمها مفكرنا مالك بن نبي لن تتجسد على أرض الواقع في أمة من الأمم، ما لم تكن هنالك سياسة عليا ناجحة تأخذ بعين الإعتبار تحديدها لأهداف تربية واضحة، ومن ثمة إنتاج مناهج تعليمية تربية مبنية على قيمها وتتبع منها، وبالتالي يمكن الحديث عن المحصلة والثمرة.

# الفصل الثاني

مرتكزات المشروع التربوي عند محمد البشير الإبراهيمي

المبحث الأول : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

المبحث الثاني : المرتكز الديني

المبحث الثالث : المرتكز القومي

المبحث الرابع : المرتكز الوطني



## المبحث الأول : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

لا نعتقد أحداً يعرض ليقظة الجزائر الفكرية ونهضتها الأخيرة إلا ويذكر "جمعية العلماء"، ويذكر معها الشيخ عبد الحميد ابن باديس\* والشيخ محمد البشير الإبراهيمي اللذان اشتركا في تأسيسها، وقاما على أمرها ورياستها، اضطلع ابن باديس برئاستها وبعد موته خلفه البشير الإبراهيمي، وظل يرعاها إلى أن قامت الثورة التحريرية الجزائرية وبعدها؛ وهي جمعية تسعى إلى الإصلاح الديني والعلمي وتتشد نهوضاً اجتماعياً وسياسياً، دعت إليها الحالة المزرية التي وصلت إليها الجزائر الواقعة تحت القمع الاستعماري الفرنسي<sup>(1)</sup>.

إن اللجنة الأولى في الحقيقة لتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانت سنة 1913 م، وذلك عندما كان الإمام ابن باديس بالمدينة المنورة والتقاءه مع الإمام محمد البشير الإبراهيمي، وكانا يقضيان أغلب وقتهما ويسهران الليالي « في البحث عن الوضع المتردي للجزائر، والتفكير في آليات النهوض بالمجتمع الجزائري وتحريره من الجهل »<sup>(2)</sup> الذي عصف به من جراء الاستعمار الفرنسي، وهذا ما رآه الشيخ البشير الإبراهيمي بأن تلك الليالي من عام 1913م<sup>(3)</sup> كانت مثمرة، حيث تداولوا مع المشكلة الجزائرية لمدة ثلاثة

\* عبد الحميد ابن باديس ( 1308 - 1359 هـ / 1889 - 1940 م ) : مؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931 م رفقة محمد البشير الإبراهيمي، نشأ في أسرة ذات جاه من قبيلة صنهاجة، تخرج بشهادة " التطويح " من جامعة الزيتونة بتونس عام 1912م ، أصدر العديد من الصحف من بينها ( المنتقد ، الصراط ، ... ) ، وأنشأ مطبعة في قسنطينة، شجع التعليم العربي الإسلامي، كان له أثر كبير في بث الروح الوطنية وفي الحفاظ على التراث العربي والثقافة الإسلامية في الجزائر في عهد الإحتلال الفرنسي، فسر القرآن الكريم درساً على الطريقة السلفية في 25 سنة، من مؤلفاته: عقيدة التوحيد، رسالة في الأصول. (انظر، جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة ، ص 18).

(1) إبراهيم مذكور: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء، ضمن كتاب جماعي: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، ط 2، دار الأمة، الجزائر، 2012 ، ص 51.

(2) الدراجي زروخي: الأبعاد الفلسفية للنظام التربوي عند جمعية العلماء المسلمين، ط 1، دار صبحي للطباعة والنشر، متليلي - غرداية الجزائر، 2015، ص 11.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أشهر<sup>(1)</sup>؛ ووضعت فيها المعالم الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي برزت عام 1931م .

وبعد سلسلة من اللقاءات التمهيدية فكر الشيخ ابن باديس في الخطوة العملية، والتي ستكون بمثابة تمهيد مباشر للانطلاق في التحضير لتأسيس هذه الجمعية التي ظلت فكرة لم تجد طريقها للواقع الفعلي<sup>(2)</sup>، وفي هذا الصدد نجد قول الشيخ البشير الإبراهيمي: « زارني الأخ الأستاذ عبد الحميد بن باديس - وأنا بمدينة سطيف أقوم بعمل علمي - زيارة مستعجلة في سنة أربع وعشرين ميلادية فيما أذكر وأخبرني بموجب الزيارة ... أنه عقد العزم على تأسيس جمعية باسم ( الإخاء العلمي ) يكون مركزها العام بمدينة قسنطينة العاصمة العلمية »<sup>(3)</sup> يضيف الإبراهيمي قائلاً: « تجمع شمل العلماء والطلبة وتوحد جهودهم ... وفي تلك الجلسة عهد إليّ الأخ الأستاذ أن أضع قانونها الأساسي فوضعتة ... ولما وصل إلى قسنطينة وعرض الفكرة على الجماعة الذين يجب أن يتكون المجلس منهم أيدوا الفكرة وقرروا القانون بعد تعديل قليل<sup>(4)</sup> » ثم حدثت حوادث حسب الإبراهيمي عطلت المشروع، وعندما أخبر الشيخ ابن باديس الشيخ البشير الإبراهيمي بذلك يقول الإبراهيمي: « فلم أستغرب لعلمي أن استعدادنا لمثل هذه الأعمال لم ينضج بعد<sup>(5)</sup> » .

يتبين لنا من خلال هذا أن الفكرة بدأت تنمو وتختمر؛ بالخصوص في أذهان الذين

(1) العربي بلقاسم فرحاتي: ما التربية؟ (د ط)، منشورات الوطن اليوم، العلةمة - سطيف الجزائر، 2018، ص 142.

(2) الدراجي زروخي: الأبعاد الفلسفية للنظام التربوي عند جمعية العلماء المسلمين، ص 11 - 12.

(3) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1997، ص ص 184 - 185.

(4) المصدر نفسه، ص 185.

(5) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وصلت إليهم<sup>(1)</sup> ، هذا من جهة ومن جهة أخرى تبين لنا تلك النظرة العميقة للعلامة محمد البشير الإبراهيمي في دراسته للمشروع الإصلاحية.

تواصلت اللقاءات المتكررة بين ابن باديس والإبراهيمي، تارة في سطيف وتارة أخرى في قسنطينة؛ والتي كانت تتمحور على دراسة الوضع في الجزائر والبحث عن السبل الكفيلة بمعالجته، وتوالت الجهود لإنشاء هذه الهيئة، ويذكر الشيخ خير الدين في مذكراته « أنه في عام 1928 دعا الشيخ عبد الحميد بن باديس جمع الطلاب العائدين من جامع الزيتونة والمشرق العربي لندوة يدرسون فيها أوضاع الجزائر، وما يمكن عمله لإصلاح هذه الأوضاع «<sup>(2)</sup> ، وكان ممن لبي هذه الدعوة هم من يمكن تسميتهم برواد الإصلاح فيما بعد أمثال: الشيخ البشير الإبراهيمي، ومبارك الميلي، والعربي التبسي وغيرهم، واجتمعوا برئاسة الشيخ عبد الحميد ابن باديس بمكتبه، وأراد من خلال ذلك الاجتماع؛ أن يسبق الأحداث ببرنامج يهدف للنهوض بالجمعية المراد إنشاؤها، وحدد فيه محاور النشاط الإصلاحية<sup>(3)</sup> .

وفي خلال الفترة الممتدة بين سنة 1926 م وسنة 1930 م، برز " نادي الترقى " ؛ والذي صار يمثل نقلة نوعية في الميدان الثقافي، فأصبح ملتقى النخبة المفكرة الجزائرية من مختلف نواحي الوطن، وكانت تلقى فيه المحاضرات وتقام فيه الحفلات، والشيخ عبد الحميد ابن باديس كلما زار العاصمة ألقى فيه محاضرات أو اجتمع بالشباب الناهض من طلبة العلم والمفكرين، فكان النادي بذلك بذرة صالحة على سكة النهضة الإصلاحية الجزائرية المباركة، ولقد تكونت لجنة تحضيرية فيه لتتبع عنها جمعية العلماء، وكان كاتب اللجنة الشيخ أحمد توفيق المدني ورئيسها عمر اسماعيل<sup>(4)</sup> .

(1) الدراجي زروخي: الأبعاد الفلسفية للنظام التربوي عند جمعية العلماء المسلمين، ص 13.

(2) المرجع نفسه، ص ص 13-14 .

(3) المرجع نفسه، ص 14.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

لتأتي مرحلة تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والتي جاءت بعد الاحتفالات بمرور قرن على الاستعمار الفرنسي للجزائر في 1930 م ؛ والتي تميزت بنبرة التحدي والاستعلاء باسم العلم والعقلانية وكذلك القوة العسكرية<sup>(1)</sup> ، واستقرت هذه الاحتفالات ضمير الأمة، وفجرت فيها طاقات المقاومة وأيضاً روح الإصلاح، ففي تلك الاحتفالات صرح أحد كبار الساسة الاستعماريين الفرنسيين قائلاً: « إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون القرآن الكريم ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن عن وجودهم، وأن نقتلع العربية من ألسنتهم » !!<sup>(2)</sup> ، ففي الوقت الذي كانت فيه أصوات المستعمر تردد أن الجزائر فرنسية وأن الأمة العربية الإسلامية دفنت مع هذا القرن من الزمن، كان الرد العملي على المحتفلين ببروز جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكان شعارهم " الإسلام ديننا، العربية لغتنا، والجزائر وطننا " ؛ وقد ظهر هذا الشعار مكتوباً على كتاب " الجزائر " للشيخ أحمد توفيق المدني، ثم تداولته الألسنة والأقلام بعد ذلك<sup>(3)</sup> .

في صباح يوم الثلاثاء 17 من شهر ذي الحجة الحرام من عام 1349 هـ والموافق لـ: 5 ماي 1931 م، وعلى الساعة الثامنة، اجتمع بنادي الترقى 72 من علماء القطر الجزائري وطلبة العلم إستجابة لدعوة خاصة من لجنة تأسيسية متألّفة من جماعة من الفضلاء عميدها السيد عمر اسماعيل، وعرفت الدعوة تحقيق فكرة طالما حَلَمَ بها الجزائريون وبالخصوص العلماء وهي تأسيس " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " وقد لبّى الدعوة كتابة بالقبول والاعتذار نحو خمسين عالماً<sup>(4)</sup> ، والحقيقة أن هذه الجمعية ستعمل من أول يوم من تكوينها للإصلاح الديني والإجتماعي فهما متكاملين؛ باعتبار أن الإصلاح الديني

(1) الزواوي بغورة: الخطاب الفكري في الجزائر، (د ط)، دار القصبه للنشر، حيدرة - الجزائر، 2003، ص 13.

(2) نقلا عن: محمد عمارة: الشيخ البشير الإبراهيمي إمام في مدرسة الأئمة، (د ط)، دار السلام، القاهرة - مصر، (د ت)، ص 10.

(3) الدراجي زروخي: الأبعاد الفلسفية للنظام التربوي عند جمعية العلماء المسلمين ، ص 15.

(4) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام ، ج وت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 1، ص 71.

لا يقوم إلا بالإصلاح الإجتماعي<sup>(1)</sup>.

والجدير بالذكر أن الشيخ عبد الحميد ابن باديس لم يحضر الاجتماع التأسيسي للجمعية منذ البداية، وكان ذلك لهدف ارتآه، يوضحه الشيخ خير الدين أحد المؤسسين والحاضر للجلسات العامة والخاصة لتأسيس جمعية العلماء بالقول: « وأسر إلينا ابن باديس أنه سوف لن يلبي دعوة الاجتماع ... حتى يقرر المجتمعون استدعاءه ثانية بصفة رسمية، لحضور الاجتماع العام فيكون بذلك مدعوا لا داعيا وبذلك يتجنب ما سيكون من ردود فعل السلطة الفرنسية وأصحاب الزوايا ومن يتخرجون من كل عمل يقوم به ابن باديس »<sup>(2)</sup>.

وفي يوم الأربعاء 18 من ذي الحجة الحرام من عام 1349 هـ الموافق لـ: 6 ماي 1931 م، عقدت الهيئة الإدارية أول جلسة بنادي الترقى ترأسها العلامة محمد البشير الإبراهيمي، حضرها جميع الأعضاء ما عدا الأستاذين ابن باديس والطرابلسي، وكان مما تمخضت عنه هو إعادة النظر في القانون الأساسي فأقرته بالإجماع، وقررت كذلك ترجمته باللغة الفرنسية، وتقديمه للحكومة طالبة منها التصديق عليه<sup>(3)</sup>، وعلى الساعة الثامنة والنصف صباحًا من يوم الخميس الموالي عقدت الهيئة الإدارية جلسة برئاسة الشيخ عبد الحميد ابن باديس، وعرضت عليه الأعمال المدروسة سابقا فوافق عليها وانفضت الجلسة على الساعة التاسعة صباحًا.

وعلى الساعة الثالثة بعد زوال ذلك اليوم وأقصد الخميس، أقامت اللجنة التحضيرية حفلة شاي في نادي الترقى على شرف الضيوف الحاضرين وأعضاء الجمعية الدينية، وبعد أن غصّ النادي بالمدعويين من جميع طبقات المجتمع، ارتجل الأستاذ عبد الحميد ابن

(1) محمد البشير الإبراهيمي: خطبة الأستاذ الإبراهيمي ( جريدة البصائر، العدد 37، الجزائر، الجمعة 16 رجب 1355 هـ الموافق لـ: 12 أكتوبر 1936 م) ص 6، ضمن مجموعة: جرائد البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مج 1، (د ط)، دار البحث للطباعة والنشر، قسنطينة - الجزائر، (د ت)، ص 298.

(2) نقلا عن: الدراجي زروخي: الأبعاد الفلسفية للنظام التربوي عند جمعية العلماء المسلمين، ص ص 15 - 16.

(3) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 1، ص 72.

باديس خطاباً يقول الشيخ البشير الإبراهيمي: « بدأه بشكر اللجنة التحضيرية على ما قامت به من الأعمال وبذلته من الجهود في هذا السبيل، وأثنى على السادة العلماء الذين قاموا بواجب تلبية الدعوة ... ثم عمم الشكر لجميع أعيان العاصمة على ما أظهوره من الإبتهاج والعطف على مشروع العلماء »<sup>(1)</sup> ، ثم أفاض الشيخ ابن باديس في الإعتذار لنفسه ولإخوانه على عدم حضوره في اليومين الأولين، وصرح أنه قد فاتته بذلك خير كثير، ثم تكلم على الجمعية ومقاصدها، وأنها لقيت من الإهتمام لدى كتاب جريدة " الشهاب " بالعديد من المقالات، وبقيت محتاجة إلى رجال يخرجونها من القول إلى الفعل، إلى أن قبض الله سبحانه وتعالى لها هؤلاء الفضلاء؛ أعضاء اللجنة التأسيسية « فكان الفضل مدخراً لهم كما كان فضل التفكير والقول لكل من فكّر في الموضوع وقال »<sup>(2)</sup> .

وذكر من مقاصدها جمع شمل هذه الطائفة وذلك للتعاون من أجل نصح الأمة وإرشادها كل حسب قدراته، وإن من ثمراتها الباكرة هذا التعارف « الذي طالما نشدناه فما وجدناه ولقد كان أمنية في النفوس وهوى في الضمائر فأصبح حقيقة واقعة »<sup>(3)</sup> ، ومن مقاصد الجمعية كذلك « توكيد عرى الإخاء بين أبناء الطائفة وحملهم على نبذ أسباب الشقاق واطراح دواعي التفرق بينهم »<sup>(4)</sup> ، وأن يكون شعار الجمعية التواصي بالحق والتواصي بالصبر، وقد أطال الأستاذ في إسداء النصائح النافعة فليبلغ الشاهد الغائب حسب الشيخ البشير الإبراهيمي<sup>(5)</sup> .

المتأمل لهذه الشذرات التي نقلناها على لسان نائبه والرئيس الثاني للجمعية - بعد وفاة

(1) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 1، ص 72.

(2) المصدر نفسه، ص 73.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

ابن باديس - الشيخ البشير الإبراهيمي، يرى أنها تحضيراً خُلقيًا إسلاميًا لهذه التلة الموقرة وما هي بصدد العمل له .

وشهد العام الثاني من تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين البداية الحقيقية، ومساهمتها في الحركة الإصلاحية في بلادنا، فقد كان عام 1932 م حدًا فاصلاً بين طورين، وانتقالاً من الفوضى والاضطرابات إلى التنظيم والعمل الدقيق، فقد رد الله كيد أعداء المصلحين، ولم يدخر العلماء جهداً في سبيل تحقيق غايتهم النبيلة، وسادت بينهم مبادئ الأخوة الصادقة فحقق الله بمجهوداتهم خيراً كبيراً للبلاد والعباد<sup>(1)</sup>، وبعد مضي ست سنوات من عمر الجمعية بادر الإمام عبد الحميد إلى وضع « إطار حرّ وشامل للجمعية وهو أشبه بميثاق أول دستور وضعه لتسير على هديه الجمعية في نشاطها الإصلاحي ... فحدد من خلال هذا الإطار ما اسماء " بدعوة جمعية العلماء وأصولها " ونشره في مجلة الشهاب العدد الرابع، المجلد الثالث عشر في جوان 1937 ثم طبع ووزع على العموم »<sup>(2)</sup>.

وبعد وفاة الشيخ عبد الحميد ابن باديس لم يكن هناك من الرجال من هو أولى وأقدر من نائبه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي على تولي ذلك المنصب الهام، زيادة على ذلك أن القانون الأساسي للجمعية يقتضي بتولية النائب في حالة وفاة رئيس الجمعية، وقد كان الشيخ البشير الإبراهيمي حينها منفيًا بأفلو، ولم ترفع عليه الإقامة الجبرية إلا سنة 1943 م، فانتخب كرئيس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين غيابياً<sup>(3)</sup>، وأصبح يدير أعمالها من مقر منفاه عن طريق رسائل كان يتبادلها مع الأعضاء بواسطة رسل ثقة<sup>(4)</sup>.

(1) الدراجي زروخي: الأبعاد الفلسفية للنظام التربوي عند جمعية العلماء المسلمين، ص 20.

(2) المرجع نفسه، ص 21 .

(3) نور الدين أبو لحية: جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية، ط 2، دار الأنوار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص ص 60 - 61.

(4) الدراجي زروخي: الأبعاد الفلسفية للنظام التربوي عند جمعية العلماء المسلمين، ص 38.

ونحن نتحدث عن العلامة البشير الإبراهيمي وهو الذي أعطى تعريفاً دقيقاً و شاملاً لجمعية العلماء بقوله هي: « لفظ معناه جماعة من العلماء المصلحين جمع بينهم العلم الواسع بحقائق الإسلام المستمدة من الكتاب والحديث »<sup>(1)</sup>، ليت شعري، وهو محدد مدار فلسفة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تساؤلاته: « كيف يشقى المسلمون وعندهم الكتاب الذي أسعد سلفهم؟ أم كيف يتفرقون ويضلون وعندهم الكتاب الذي جمع أولهم على التقوى؟ فلو أنهم اتبعوا القرآن ... لما سخر منهم الزمان وأنزلهم منزلة الضعة والهوان، ولكن الأولين آمنوا فأمنوا واتبعوا فارتفعوا، ونحن ... فقد آماناً معلولاً، ... وكل يجني عواقب ما زرع »<sup>(2)</sup>.

تضافرت ظروف عديدة وعوامل كثيرة ساهمت جميعها في إظهار جمعية العلماء، يحددها الشيخ البشير الإبراهيمي ويحصرها في أربعة:

- تأثير أفكار الشيخ محمد عبده وذلك بواسطة مجلة " المنار " .
- الثورة التعليمية التي أحدثها الشيخ عبد الحميد ابن باديس بدروسه القيمة.
- التطور الحاصل في أفكار الناس في أعقاب الحرب العالمية الأولى.
- رجوع طائفة من المثقفين الجزائريين الذين كانوا يدرسون في المشرق العربي نذكر منهم الطيب العقبي وغيره كثير.

يضاف إلى هذه العوامل الأربعة عامل مهم آخر وهو، كثرة الطرق الصوفية وازدياد نشاطها السلبي حتى تجاوزت العشر طرق<sup>(3)</sup>.

ومن خلال ما سبق ذكره يمكن القول أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؛ تعتبر بمثابة نور انبلج بجهود جبارة من علماء جزائريين أكفاء، في وقت كانت فيه الجزائر تزرع

(1) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 4، ص 97.

(2) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 1، ص 158 - 159.

(3) الدراجي زروخي: الأبعاد الفلسفية للنظام التربوي عند جمعية العلماء المسلمين، ص ص 21 - 22.

تحت هيمنة الاستعمار الفرنسي من جهة وطرقية ضلت فأضلت معها الكثير بخرافاتها،  
فبميلادها - جمعية العلماء - بدأ عهد مجتمع إسلامي معرفي علمي جديد .

## المبحث الثاني: المرتكز الديني

أدرك المستدمر الفرنسي في وقت مبكر فعالية العقيدة وأثرها في تنظيم وتوجيه جهاد الأمة الجزائرية العربية المسلمة، فحملهم ذلك على محاربة الدين الإسلامي منذ البداية، مما أضفى على احتلالهم طابع الغزو العقائدي والحضاري والذي يمكن اعتباره امتداداً للصراع بين الحضارتين الإسلامية والمسيحية منذ القرون الوسطى؛ فقد استهدف أولئك المحتلون الغربيون الفرنسيون وبكل الوسائل المتاحة تجريد الشعب الجزائري من أقوى ما يملك من أسباب الحياة والمنعة وإبعاده عما يشده بقيمه وحضارته، وبالتالي إطفاء روح المجاهدة فيه، ولا أدل على ذلك من تحويل المساجد مثلاً إلى مستودعات وكنائس؛ كما فعلوا بمسجد " كتشاوة " بالعاصمة الذي حول منذ القرن الثامن عشر من شهر ديسمبر 1832 م إلى كاتدرائية<sup>(1)</sup>.

لكن الله عز وجل سيقبض للأمة الجزائرية من العلماء الريانيين من سيفند ويدحض أطروحات المستدمر، وعلى رأس هؤلاء العلامة محمد البشير الإبراهيمي؛ فهو من « ألمع رجال الفكر وأبرز علماء الإسلام، له قوة الشخصية، وذكاء الفؤاد، وحضور الذهن، وسعة الاطلاع، واستقامة المنطق، وحدة النشاط، ما مكنه من الاضطلاع برسالة التجديد خير اضطلاع، وبوآه مكانة مرموقة بين قادة الفكر في العالم العربي الإسلامي »<sup>(2)</sup>.

والدين يمكن تعريفه تعريفاً يشمل جميع مناحيه اللغوية والقرآنية بالقول: « هو علاقة خضوع و انقياد وعبودية من قبل البشر، يشعرون بها نحو خالق حاكم مسير لأمر الكون، ... ، قد وضع لهم نظاماً كاملاً شاملاً للحياة بجميع جوانبها، وأمرنا أن نسير عليه، وأخبرنا

(1) محمد بن سميحة: صفحات من إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في النهضة الحديثة، (د ط)، دار مدني، الجزائر، 2004، ص 13.

(2) محمد الصالح الصديق: يفنى الرجال وتبقى الأعمال، ضمن كتاب جماعي: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، ص 363.

بالجزاء الذي أعده لجميع المكلفين يوم الحساب»<sup>(1)</sup>، ففي ضوء القرآن يبدو الدين « ظاهرة كونية تحكم فكر الإنسان كما تحكم الجاذبية المادة»<sup>(2)</sup>. والدين الإسلامي هو النظام الإلهي خاتم الشرائع جميعاً، وهذا ما بينه لنا القرآن الكريم ورسول الهدى محمد صلى الله عليه وسلم؛ من أن كل من يتخذ ديناً غيره ولو كان من الأديان السماوية السالفة فإن الله لا يقبله منه<sup>(3)</sup> وذلك مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (سورة آل عمران، الآية 19).

فالقرآن الكريم باعتباره ناظماً مركزياً عند الشيخ البشير الإبراهيمي فهو إصلاح شامل لنقائص البشرية الموروثة، بل اجتثاث للنقائص من أصولها وبناء قويم للحياة السعيدة التي لا يظلم فيها بني البشر ولا تسلب حقوقهم؛ والقائمة على الحب والعدل والإحسان، فالقرآن يقول الإبراهيمي: « هو الدستور السماوي الذي لا نقص فيه ولا خلل: فالعقائد فيه صافية، والعبادات خالصة، والأحكام عادلة، والآداب قويمية، والأخلاق مستقيمة، والروح لا يهضم لها فيه حق، والجسم لا يضيع له مطلب»<sup>(4)</sup>، فهو الذي صلح به أول الأمة العربية الإسلامية وهو الذي لا يصلح آخرها إلا به<sup>(5)</sup>، و إذا كان الإسلام؛ عقائد وعبادات وأحكام وآداب، وكل هذه الأجزاء ترمي إلى غرض واحد وهو إصلاح نفس الفرد واجتماعيته، فعقائد الإسلام مبنية على التوحيد، « والعقل إذا اطمأن من هذه الجهة انصرف إلى أداء وظيفته مجموعاً غير مشنت»<sup>(6)</sup>، وهذا ما يراه محمد قطب ويؤكد بالقول: « كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه

(1) عبد الرحمان النحلوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص 19.

(2) مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية، ت: عبد الصبور شاهين، ط 4، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، 1987، ص 300.

(3) عبد الرحمان النحلوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص 19 - 20.

(4) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 4، ص 95.

(5) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(6) تركي رايح عامره: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية ( 1931 - 1956 ) ورؤساؤها الثلاثة، ط 1، المؤسسة الوطنية وحدة الرغاية موفم للنشر، الجزائر، 2004، ص 242.

وسلم: تلقى الوحي والرسالة، وامتألت بها نفسه، فتحركت للعمل في واقع الأرض، وتلك سمة الرسائل الكبيرة كلها وعلى رأسها هذه العقيدة الحية المتحركة التي أودع الله فيها خلاصة الدين كله»<sup>(1)</sup>.

ومن المنن التي أنعم الله سبحانه وتعالى بها على هذه الأرض الطيبة المباركة، تفسير الشيخ ابن باديس للقرآن الكريم، ولقد أدركت الأمة الجزائرية قيمة هذا الإنجاز، ومنه قدرت عظمة هذه البشري السارة، فسارعت عن بكرة أبيها زرافات ووحدانا لإقامة احتفالات احتفاءً بالمفسر والتفسير، ولقد حاول الإبراهيمي تصوير سروره وروعة الإقبال<sup>(2)</sup>؛ وذلك بتقديم في العدد الخاص بختم تفسير القرآن الكريم - من مجلة الشهاب - سنة 1938 م، يقول العلامة محمد البشير الإبراهيمي: «أتم الله نعمته على القطر الجزائري بختم الأستاذ عبد الحميد بن باديس لتفسير الكتاب الكريم درساً على الطريقة السلفية، وكان إكماله إياه على هذه الطريقة في خمس وعشرين سنة متواليات مفخرة مدخرة لهذا القطر، وبشري عامة لدعاة الإصلاح الديني في العالم الإسلامي كله، تمسح عن نفوسهم الأسى والحزن لما عاق إمام المصلحين محمد عبده عن اتمامه درسا، ولما عاق حواريه الإمام رشيد رضا عن اتمامه كتابة»<sup>(3)</sup>؛ إن إكمال تفسير القرآن على تلك الطريقة يعتبر في الحقيقة إيذاناً من الله برجوع دولة القرآن<sup>(4)</sup>.

ولقد ميز الشيخ ابن باديس بين الإسلام الوراثي وهو إسلام تقليد؛ لا نظر فيه ولا تفكير، إسلام عوام، إسلام المؤسسة الرسمية والزاوية، إنه إسلام جمود لا علم فيه ولا تفكير، وفي مقابل هذا الإسلام هنالك الإسلام الذاتي القائم على الفكر والنظر، والمشروط بالعلم

(1) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، ج 1 (في النظرية)، ص 217.

(2) محمد الدراجي: الإمام عبد الحميد بن باديس السلفية والتجديد، ط 1، دار قرطبة، المحمدية - الجزائر، 2007، ص 25.

(3) نقلا عن: عبد الحميد بن باديس، آثار الإمام، ج 1، (د ط)، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص ص 13، 15.

(4) المرجع نفسه، الصفحتين نفسها.

والتعلم<sup>(1)</sup>، ومن الفترات التي عرفت فيها السيرة قراءة صحيحة وتوظيفاً واقعياً لهديتها ما قامت به في العصر الحديث مدرسة الإصلاح، والتي تأثر بها الشيخ البشير الإبراهيمي، وذلك ما انعكس على نظرتة للسيرة النبوية والتي أخذت أبعاداً اجتماعية وتربوية وذلك بإخراجها من إطارها الجامد الذي كرسته المدرسة التقليدية.

فقد مكنته قراءته العميقة الجديدة للسيرة - الشيخ الإبراهيمي - من الوقوف على ما فيها من مثلات عبر عنها بقوله: « ما زلت منذ درستُ السيرة بعقلي، أقف في بعض مقاماتها على ساحل بحر لحي من العبر والمثلات »<sup>(2)</sup>؛ والقراءة العقلية التي يقصدها الشيخ الإبراهيمي هنا ليست سوى القراءة المتفحصّة التي تخرج السيرة من النظرة التاريخية الجامدة إلى النظرة الحركية والمتجردة من قيود الزمان، والتي هي كالبحر في حركته المتواصلة عبر المد والجزر والعميق في أسراره لما تضمنته من عبر ومثلات<sup>(3)</sup>.

والدين الإسلامي في الجزائر قد عبث به العابثون واتخذوه مكسبة وأزهقوا روحه وجرده من أسباب قوته وتأثيره وعطلوه من مزاياه وخصائصه، وكانوا عوناً لأعدائه على هدمه<sup>(4)</sup>، والشيخ البشير الإبراهيمي يرى أنه من الواجب إذن: « أن نبدأ بمحاربة تلك البدع والخرافات بطرق حكيمة تقرب من أذواق الناس فإذا ماتت البدع والخرافات وصفت الفطر من ذلك الشوب سهل تلقين العقيدة الصحيحة وتلقيتها النفوس بالقبول »<sup>(5)</sup>.

(1) الزواوي بغورة: الخطاب الفكري في الجزائر، ص 29.

(2) نقلا عن: حسين شرفة: منهج الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في التعامل مع السيرة النبوية، ( مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد 41، دبي - الإمارات العربية المتحدة، 2011 )، ص ص 160 - 161.

(3) المرجع نفسه، ص 161.

(4) محمد البشير الإبراهيمي: لا يبني مستقبل الأمة إلا الأمة، ( جريدة البصائر، العدد 26، الجزائر، 13 ربيع الثاني 1355 هـ الموافق لـ: 3 جويليت 1936 م )، ص 4، ضمن مجموعة: جرائد البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مج 1، ص 208.

(5) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 1، ص 86.

فالقرآن الكريم هو كتاب الإسلام، والسنة القولية والفعلية الصحيحة هي تفسير وتبيين للقرآن، وسلوك السلف الصالح والتابعين هو في الحقيقة أنصع صورة للإسلام، والبدعة هي كل ما أحدث على أنه عبادة وقرية، وهو لم يثبت عن المصطفى صلى الله عليه وسلم فعله ؛ فكل بدعة ضلالة، والمصلحة هي كل ما تقتضيه حاجة الناس في أمر حياتهم الدنيا وضبط شؤونهم مما تقره أصول الشريعة، وأفضل الخلق هو محمد صلوات ربي وسلامه عليه ، إختاره الله سبحانه وتعالى لتبليغ رسالة الإسلام إلى بني البشر وهو على أكمل الخلق عاش مجاهدًا في ذلك وأفضل المؤمنين هم الذين آمنوا وأتقوا الله، والتوحيد أساس الدين وكل شرك باطل مردود على صاحبه <sup>(1)</sup>؛ فبناء القباب على القبور وإيقاد السرج عليها والذبح عندها، والاستعانة بأهلها لله هي كلها من أعمال الجاهلية <sup>(2)</sup>، فالأوضاع الطرقية بدعة لم يعرفها السلف الصالح، ومبناها كلها على الغلو في الشيخ والتحيز لكل ما يرتبط به، فهي تجميد للعقول وإماتة للهمم وغيرها من الشرور <sup>(3)</sup>.

يتساءل العلامة البشير الإبراهيمي، ثم ما هذا التصوف الذي لا عهد للإسلام الفطري به؟ يقول مجيبًا على ذلك: « إننا لا نقره مظهرًا من مظاهر الدين أو مرتبة عليا من مراتبه، ولا نعترف من أسماء هذه المراتب إلا بما في القاموس الديني: النبوة والصدقية والصحة والاتباع ثم التقوى التي يتفاضل بها المؤمنون، ثم الولاية التي هي أثر التقوى، وإن كنا نقره فلسفة روحانية جاءتنا من غير طريق الدين و نرغمها على الخضوع للتحليل الديني » <sup>(4)</sup>؛ فالمتأمل لما يقوله الشيخ الإبراهيمي يجد أن هذا التصوف لم يعرفه الإسلام النقي الفطري من قبل، وهو عبارة عن أفكار فلسفية دخيلة لا بد لها من التحليل على أساس الدين الإسلامي.

(1) الدراجي زروخي: الأبعاد الفلسفية للنظام التربوي عند جمعية العلماء المسلمين، ص 27.

(2) نبيل أحمد بلاسي: الاتجاه العربي و الاسلامي ودوره في تحرير الجزائر، (د ط)، دار الكتب، مصر، 1990، ص 64.

(3) عبد الحميد بن باديس: آثار الإمام، ج 5، (د ط)، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 155.

(4) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 1، ص 175.

وفي تاريخ الجزائر الحديث تظهر فيه هذه الطريقة الخاطئة بمظهر غريب لا يتواءم مع موقف الأمة الحاضر، وإن لم يكن غريباً طبع الطريقة من يوم ابتلي بها العالم العربي الإسلامي، وقد مهدوا لذلك بدعوى طويلة عريضة وهي الانتصار للعلم وهم ألد أعدائه، وبدعوى أطول وأعرض وهي توحيد الأمة وهم السبب في تفريقها وتمزيقها، وبدعوى أعرق منها في البهتان والزور وهي أن الحركة الإصلاحية الدينية هي التي فرقت كلمة الأمة الجزائرية، وتجلّى هذا المظهر الجديد في اجتماع الطرفين الذي سموه كذباً " المؤتمر الديني العام " يقول الإبراهيمي: « وما هو في الواقع إلا زردة من زردهم المعتادة دفعهم إليه الحنين إلى الزرد، فإذا هو هي لم ينقصه إلا الطبول والمزامير »<sup>(1)</sup> ، ثم تجلّى هذا المظهر في جمعيتهم التي سموها " جامعة اتحاد الطرق الصوفية " وشحنوها بدعاياتهم الكاذبة على طرائقهم المعروفة.

كل العقلاء يعلمون ويعتقدون أن هذه الألفاظ التي يلبسون بها هذا المظهر الجديد ألفاظ لا حقيقة لها، لأن معانيها ليست طبيعية فيهم؛ فمتى كانت الطريقة ناصرة للعلم وهي تعلم أنه لا وجود له مع وجودها؟ ومتى كانت سبباً من أسباب الاجتماع على الخير العام؟ ومتى كانت موحدة للناس بالمعنى الإصلاحي للاتحاد؟ يقول الشيخ الإبراهيمي « نعم إنها توحد معتقياً في شيء واحد وفي غايتها التي هي شرٌّ من شرورها وهو هذا الاستسلام المطلق الذي تبثليهم به، وهذا البله المستحکم الذي أنساهم خالقهم وحقائق دينهم وتاريخهم وأذهلهم على أنفسهم، وانتزع منهم أخلاق الرجال وعزائم الرجال »<sup>(2)</sup>.

وجمعية العلماء عملية واقعية في مقاومتها لتيار التبشير الذي مارسه وحاولت نشره فرنسا الاستدمارية، فرأت أن التبشير المدعوم بأسباب القوة لا يقاوم بالأقوال وإنما يكون بتقوية المعاني الدينية الإسلامية؛ ومنها القيام بحق الله في البائس الفقير والرحمة باليتيم

(1) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 1، ص 296.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

والبر بالمساكين، والشرح للأمة المنافذ التي يتسلل منها هؤلاء المبشرون، وما كادت آثار تربية جمعية العلماء تظهر آثارها الطيبة من النفوس حتى أحسَّ المبشرون بالحق يقوض شرورهم، فتنادوا مصبحين واستعدوا الحكومة على جمعية العلماء وكانوا من أقوى الأسباب فيما نالها من عنت<sup>(1)</sup>، والنزعات الإلحادية لا تقل شرا من التبشير؛ دخل هذا الداء إلى الجزائر في ركاب الاستعمار، وهو منتشر في الحضارة الغربية، فأمدته الاستعمار بالقوة ليقاوم به العقائد الثابتة وليضلَّ به المهتدين، وقد كانت عليه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالمرصاد وحالت بينه وبين الانتشار بما أفاضت على العقول، وأشاعت في النفوس من الهدى المحمدي، وحاصرته في أضيق الأمكنة بحقائق الإسلام<sup>(2)</sup>.

والعلامة محمد البشير الإبراهيمي أراد الله سبحانه وتعالى له أن يكون إمام الأئمة في أرض الجزائر المسقية بدماء الشهداء، فكانت أول خطبة ليوم الجمعة 5 جمادى الثانية 1382هـ بمسجد "كتشاوا" المحوّل إلى كاتدرائية قبل الإستقلال من نصيبه، وذلك بحضور أركان الدولة ووفود غفيرة من مختلف الدول الإسلامية<sup>(3)</sup>؛ وكان مما ورد فيها قوله: « ونستنزل من رحمات الله الصَّيِّبَةَ، وصلواته الزاكية الطيبة لشهدائنا الأبرار ما يكون كفاء لبطلتهم في الدفاع عن شرف الحياة وحرمات الدين وعزة الإسلام وكرامة الإنسان وحقوق الوطن ... يا أتباع محمد عليه السلام هذا اليوم الأزهر الأنور وهذا هو اليوم الأغر المحجل، ... وهذا المسجد هو حصة الإسلام من مغنم جهادكم، بل هو وديعة التاريخ في ذممكم أضعتموها بالأمس مقهورين غير معذورين واسترجعتموها اليوم مشكورين غير مكفورين »<sup>(4)</sup>.

(1) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 4، ص 169.

(2) المصدر نفسه، ص 170.

(3) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 5، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1997، من هامش الصفحة 305.

(4) المصدر نفسه، ص 306.

لتبقى نكبة فلسطين جرحًا غائرًا في جسد الأمة العربية الإسلامية، والتي لقيت حيزًا كبيرًا من فكر الشيخ البشير الإبراهيمي؛ كيف ذلك؟ وهي تحمل في ثراها القدس الشريف محطة الإسراء والمعراج وموطن أقدام محمد صلى الله عليه وسلم وفتح عمر رضي الله عنه، والمسجد الأقصى اليوم كآثرته البيع والكنائس وعملت على إخفاء مآذنه وإسكات أذانه<sup>(1)</sup>.

ومن الأمور العظيمة التي تسترعي اهتمام ذوي البصيرة أن العالم المعاصر يمر بمرحلة من الأزمات التي تهدد كيان الحضارة الإنسانية<sup>(2)</sup>، والدواء موجود في الإسلام لو فهم على حقيقته، وطبق كما جاء به من عند الله سبحانه وتعالى محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه؛ لحل العقد ورفع الإشكالات، ولكان هو الحكم في معترك الخلاف، ولجلب بقوانينه وأخلاقه السعادة للحقة للعالم<sup>(3)</sup>.

ومما سبق ذكره يمكن القول أن خاتم الشرائع والمنزل للإنسانية جمعاء الدين الإسلامي، تشرب قيمه الخالدة العلامة محمد البشير الإبراهيمي على حقيقتها، فكان مجاهدًا منافحًا عنه بكل ما أوتي من قوة ضد كل طرفي ضال ومُبشر وملحد، ليت شعري وهو ابن الأمة الجزائرية العربية المسلمة التي اتخذته دينا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

(1) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 4، ص ص 216، 218.

(2) محمد الغزالي: الإسلام والطاقت المعطلة، ط 27، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2005، ص 165.

(3) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 4، ص 78.

## المبحث الثالث: المرتكز القومي

حاول الاستعمار الفرنسي كثيراً، بل وعمل كل ما بوسعه من جهد على طمس معالم اللغة العربية، باعتبار أن العقبة الكؤود التي تحول بينه وبين بسط نفوذه وهيمنته على الشعب الجزائري، هي اللغة العربية اللسان المعبر عن جنس الأمة الجزائرية ودينها الإسلامي<sup>(1)</sup>، كما قام المستدمر كذلك؛ بمطاردة العلماء، وتضييق الخناق في وجه الثقافة القومية، ومحاولة تشويه قيمتها وتراثها والقضاء على وسيلتها اللغة العربية؛ وذلك لفصل المغرب العربي عن المشرق العربي حتى لا يتساندا في التوحد والمقاومة، عاملين في الوقت نفسه على نشر ثقافتهم الغربية، وتضليل الناس في توجيههم إلى معارفها خدمة لأغراض الاستلاب الحضاري لكيان الأمة الجزائرية العربية المسلمة<sup>(2)</sup>.

إن " القوم " الذي اشتقت منه " القومية " « هو مصطلح " عربي - قرآني " <sup>(3)</sup> ، وفي القرآن الكريم حديثٌ عن العرب، قوم أشرف خلق الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَ إِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾ (سورة الزخرف ، الآية 44)، فقوم الإنسان هم المقيمين معه، والذين تربطهم ما يصطلح عليه سمات القومية<sup>(4)</sup>، ليت شعري: الحمد لله ثم المجد للعربِ مَنْ أَنْجَبُوا لَبْنِي الْإِنْسَانِ خَيْرَ نَبِيٍّ <sup>(5)</sup>.

فاللغة العربية هي أشرف اللغات، فبها أوحى الله كتابه " القرآن الكريم " على محمد صلى الله عليه وسلم، وهو بدوره بلغ المؤمنين الأوائل الوحي باللغة العربية وحملهم على

(1) محي الدين صابر: محمد البشير الإبراهيمي والدعوة القومية، ضمن كتاب جماعي: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، ص 117.

(2) محمد بن سميحة: صفحات من اسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في النهضة الحديثة، ص 14.

(3) محمد عمارة: هل الإسلام هو الحل؟ لماذا وكيف؟، ط 2، دار الشروق، القاهرة - بيروت، 1998، ص 164.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(5) عبد الحميد بن باديس: آثار الإمام، ج 2، (د ط)، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 310.

النطق بها، ومنه أصبحت معرفة اللغة العربية جزءًا لا يتجزأ من الدين الإسلامي<sup>(1)</sup>؛ وهذا ما يؤكدّه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: « إن الله تعالى لما أنزل كتابه باللسان العربي، وجعل رسوله مبلغًا عنه للكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به، لم يكن سبيل إلى ضبط الدين ومعرفته إلاّ بضبط اللسان، وصارت معرفته من الدين ... وأقرب إلى إقامة شعائر الدين »<sup>(2)</sup>.

واللغة العربية تؤثر في العقل والخُلق والدين تأثيرًا قويًا بيّنًا، وتؤثر كذلك في مشابهة الرعيل الأول من الأمة العربية الإسلامية من الصحابة والتابعين ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخُلق، ونفس اللغة العربية من الدين وبالتالي يقول ابن تيمية: « معرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلاّ بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب »<sup>(3)</sup>، وفي حديث عن عمر رضي الله عنه أنه قال: « تعلموا العربية فإنها من دينكم، وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم »<sup>(4)</sup>، لأن الدين في الحقيقة أقوال وأعمال، وبالتالي ففقه العربية هو الطريق إلى فقه أقواله وفقه السنة هو فقه أعماله<sup>(5)</sup>.

وهذا ما ألتزمه الكتاب والمفكرون والمصلحون الجزائريون؛ فالشيخ ابن باديس صاحب فكرة، أن محمدًا صلى الله عليه وسلم ليس رسول الإسلام فقط، ولكنه داعية القومية العربية ورائدها وباعثها وقد ظلت هذه الفكرة المحورية أساسية في نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومدار تفكير جميع مؤسسيها وأعضائها الذين شاركوه شرف النضال ضد

(1) ماجد عرسان الكيلاني: الفكر التربوي عند ابن تيمية، ص 141.

(2) ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ت وت: ناصر بن الكريم العقل، ج 1، دار اشبيليا للنشر والتوزيع، ط 2، الرياض - المملكة العربية السعودية، 1998، ص ص 449 - 450.

(3) المرجع نفسه، ص 527.

(4) المرجع نفسه، ص ص 527 - 528.

(5) المرجع نفسه، ص 528.

المستدمر الفرنسي<sup>(1)</sup>، فالعامل الأهم الذي يكون الأمة ويربط أجزائها، ويوحد شعورها ويوجهها إلى غايتها وهي السمو والارتقاء هو تكلمها بلسان واحد، وهذا المثال يوضح ذلك فلو وضعت أخوين شقيقين يتكلمان بلسانين لشاهدت ما بينهما من تباين قصد وتباعد تفكير، ثم وضعت جزائرياً وشامياً ينطقان باللسان العربي لرأيت ما بينهما من اتحاد وتقارب<sup>(2)</sup>.

ولعل العالم العربي المسلم الذي نجده أكثر احتفاءً بالقضايا العربية الإسلامية القومية، وأكثر معالجة لها واتصالاً بها هو العلامة محمد البشير الإبراهيمي؛ والذي جسدت كتاباته بحق مفهوم شعار وحدة "العروبة والإسلام"، حيث يحاول وصل ما يجري بالشرق العربي بما يحدث في المغرب العربي «إيماناً منه بوحدة مصير هذه الأقطار العربية وترابطها، وتجانس مشاكلها»<sup>(3)</sup>، فقد كتب عن الحجاز والمدينة المنورة وبلاد الشام وغيرها، وخص القضية الفلسطينية بأبلغ ما كتبه كاتب، كما كتب عن أقطار المغرب العربي، تونس والمغرب الأقصى وليبيا وغيرها من البلدان العربية الإسلامية؛ كل ذلك من أجل تأكيد «اللحمة العربية، وانطلاقاً من شعوره بالانتماء إلى الأمة العربية، وانتماء الشعب الجزائري إلى هذا الوطن الأرحب الذي يمتد من المحيط إلى الخليج»<sup>(4)</sup>؛ وهذا ما بيّنه ويجليه قوله - الشيخ البشير الإبراهيمي - : «أيها الإخوة: إن هذه اللغة العربية الشريفة التي طرفنا خيالها المؤوب، ثم أسمعنا داعيها المثوب، فاجتمعنا على بساطها اليوم من جميع أقطار العروبة، هي الرحم الواصلة بيننا وهي اللحمة الجامعة لخصائصنا وآدابنا»<sup>(5)</sup> يضيف قائلاً: «إن

(1) محي الدين صابر: محمد البشير الإبراهيمي والدعوة القومية، ضمن كتاب جماعي: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، ص 108.

(2) عبد الحميد بن باديس: آثار الإمام، ج 2، ص 301.

(3) محي الدين صابر: محمد البشير الإبراهيمي والدعوة القومية، ص ص 109 - 110.

(4) المرجع نفسه، ص 110.

(5) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 5، ص 292.

الشعب الجزائري فرع باسق من تلك الدوحة الفيئانة وزهرة عبقة من تلك الروضة الغناء ... ؛  
وابتلاه الاستعمار -عن قصد- بالبلبله فانحرفت فيه الحروف عن مخارجها إلا الضاد «<sup>(1)</sup> .

لذلك نجد من الأهداف التي ترمي جمعية العلماء إلى تحقيقها هي إحياء اللغة العربية كوسيلة في التربية وثقافتها، بعد أن عمل الاحتلال الفرنسي على محاولة وأدها ودفنها، فوجهت جمعية العلماء التربية نحو القضاء على الاستعمار وعلى كل سياسات الفرنسة والتتصير والتجنيس والإدماج التي يعمل عليها الاحتلال في الجزائر، ومنه العمل على استقلال الجزائر العربية المسلمة وضمها إلى الأسرة العربية الكبرى، هذا من جهة ومن جهة أخرى تحقيق النهضة في الجزائر، وهو في الحقيقة الهدف البعيد من وراء تأسيس الجمعية وذلك بالعمل على تعزيز وحدة العروبة والإسلام والتي تتبع من تلك المنابع الصافية التي كان يتشرب منها سلفنا الصالح، ونشر العلم والمعرفة والتخلق بالأخلاق الفاضلة<sup>(2)</sup> ؛ وبالتالي جاءت جمعية العلماء « على عبوس من الدهر، وتتكبر من الأفوياء، فنفخت من روح العروبة في تلك الأنساب، فإذا هي صريحة، وسكبت من سر البيان العربي في تلك الألسنة، فإذا هي فصيحة، وأجالت الأفلام في كشف تلك الكنوز »<sup>(3)</sup> .

ولتأكيد الصلة الوثيقة بين اللغة العربية والدين الإسلامي، يرى الشيخ الإبراهيمي أن اللسان العربي هو لسان هذا الدين وترجمانه الحاذق، فهو الذي نقل الإسلام وما فيه من عقائد سامية وحكم وأخلاق، وأسرار جلييلة إلى أمم أخرى وأخذهم بها بكيفية تريهم أن الدين هو اللغة و اللغة هي الدين، فهما شيء واحد<sup>(4)</sup> ؛ « وما كان الله ليحمل هذه الرسالة العظيمة

(1) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 3، ص 57.

(2) الدرارجي زروخي: الأبعاد الفلسفية للنظام التربوي عند جمعية العلماء المسلمين، ص 33.

(3) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 3، ص 57.

(4) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 1، ص 109.

لغير أمة عظيمة، إذ لا ينهض بالجليل من الأعمال إلا الجليل من الأمم و الرجال »<sup>(1)</sup> ،  
 وإذا قلنا إحياء مجد اللسان العربي لأنه لسان هذا الدين والمترجم عن أسراره ومكنوناته<sup>(2)</sup> ،  
 يقول الشيخ الإبراهيمي: « أيها الإخوة: إن اللغة العربية كالدين يحملها من كل خلف عدوله،  
 لينفوا عنها تحريف الغالين، وزيف المبطلين وانتحال المؤولين وأنتم أولئك العدول »<sup>(3)</sup> ،  
 فالمبطلين من هذا الجيل أصبحوا يتكرون للغة العربية وهم لم يفقهوا منها شيئاً، ومع ذلك  
 يرمونها بالعم والجمود وعدم المسابرة لركب الحضارة ويرتضخون لكفة لا هي بالعربية ولا  
 هي بالصالحة، ويتمردون على البيان والشعر العربي<sup>(4)</sup> .

فلو لم تكن اللغة العربية لغة مدنية وعمران، ولو لم تكن غنية بالمفردات متسعة  
 الأفاق، لما استطاع أسلافنا نقل علوم اليونان وآداب فارس والهند<sup>(5)</sup> ، في الحقيقة « الفكر  
 العربي واللغة العربية، هما اللذان التقطتا التراث اليوناني ونقلاه، بعد أن طوّراه تطويراً ملحوظاً  
 ، إلى أوروبا في القرون الوسطى »<sup>(6)</sup> ، ولو لم تكن العربية لغة عالمية لما وسعت علوم  
 العالم، وما العالم وقتها إلا هذه الأمم التي نقل عنها المسلمون؛ فقامت اللغة العربية في أقل  
 من نصف قرن بترجمة معارف وعلوم هذه الأمم، من فلسفة وآداب واجتماع ورياضيات  
 وطب وهندسة، وهذه هي التي تقوم عليها الحضارة العقلية في الأمم الغابرة والحاضرة، وهذا  
 هو التراث العقلي المشاع إنسانياً الذي لا يزال يأخذ فيه الأخير عن الأول « وهذا هو الجزء

(1) محمد عمارة: الإسلام والعروبة، ط 1، دار الشروق، القاهرة - بيروت، 1988، ص 53.

(2) محمد البشير الإبراهيمي: الجمعية دعوتها وغايتها، ( جريدة الشريعة النبوية المحمدية، العدد 4، قسنطينة - الجزائر،  
 15 ربيع الثاني 1352 هـ الموافق ل: 7 أوت 1933 م )، ص 1 .

(3) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 5، ص 294.

(4) المصدر نفسه، ص ص 294 - 295.

(5) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 1، ص 376.

(6) مالك بن نبي: من أجل التغيير، ط 4، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، 2005، ص 61.

الضروري في الحياة الذي إما أن تنتقله إليك فيكون قوة فيك، وإما أن تنتقل إليه في لغة غيرك فتكون قوة لغيرك، وقد تظن أسلافنا لهذه الدقيقة فنقلوا العلم ولم ينتقلوا إليه»<sup>(1)</sup>.

فرغم ما صاحب عصر الترجمة من غياب التنقيح الدقيق، عمل الفكر العربي الوقاد على تصحيح أغلاط الفلاسفة وصحح نظريات الرياضيات، ومن ثم جاءت مرحلة الاجتهاد في هذه المعارف والعلوم، فكيف الفلسفة على ذوقه الخاص، واستتبط في العلوم طرائق وأنواعاً لم تكن معروفة من قبل، وما كان الفرابي وابن سينا وأبو سليمان المنطقي، وابن باجة وابن طفيل وابن رشد بالمقلدين في علوم الأوائل<sup>(2)</sup>.

فاللغة العربية كان لها الفضل الكبير على علماء الإسلام بكنوزها وأسرارها، وأمدتهم بمصطلحات علمية وفنية، والتي تعجز في الحقيقة أية لغة من لغات العالم عن إدراكها بدون استعانة واستعارة، هذا ما سهل عليهم البحث في علوم وفنون عديدة فملأوا الدنيا مؤلفات ودواوين؛ « فمن عرف كتاب أبي حنيفة الدينوري في النبات وكتاب أبي عبيدة في الخيل وكتاب الهمذاني في تخطيط جزيرة العرب وكتاب الجاحظ في الحيوان وكتب الأئمة في الطب والنجوم و الإبل »<sup>(3)</sup>، رأى العجب العجاب من اتساع وغزارة هذه اللغة، وعلم مقدار أفضالها على الأمة العربية الإسلامية، كما أنه من يقرأ شعر الشعراء الوصافيين من الأندلس، لتجلى له فضلها على القرائح الوقادة التي وجدت في العربية فيضاً لا ينقطع مدده<sup>(4)</sup>.

ومن العجائب أن الحضارة القائمة الآن كونتها ولونتها العديد من اللغات المختلفة، ولم تستطع أن تقوم بها لغة واحدة، على حين أن اللغة العربية قامت وحدها ببناء حضارة شامخة البنين ولم تستفد من اللغات الأخرى إلا القليل من المفردات، « وكانت الأمة المدخرة

(1) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 1، ص 376.

(2) المصدر نفسه، ص ص 377-378.

(3) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 1، ص 379.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

لتشييد هذه الحضارة التي نسميها بحق الحضارة الإسلامية هي الأمة العربية»<sup>(1)</sup> ، يقول الشيخ الإبراهيمي: «أيها الإخوان: إن العربية لم تخدم مدنية خاصة بأمة، وإنما خدمت المدنية الإنسانية العامة، مدنية الخير العام والنفع العام، ولم تخدم علمًا خاصًا بأمة وإنما خدمت العلم المشاع بين البشر بجميع فروع النافعة»<sup>(2)</sup> ، ومنه فإنها تستطيع كذلك «أن تعبر عن الفكر التقني لأي حضارة كانت، كما كانت تفعل منذ زمن بعيد في قرطبة وبغداد، إبان العصور الذهبية»<sup>(3)</sup> .

فرجع الأمة العربية الإسلامية إلى القرآن ومعرفته بحق يعني عودتها إلى الهداية، رغم أنف أوروبا وتلامذتها المغرورين بها<sup>(4)</sup>، فجهود الاستعمار الفرنسي باءت بالفشل الذريع ، أمام وعي المصلحين الجزائريين الذين إستندوا على قوة مفهوم العروبة والإسلام<sup>(5)</sup> وعلى رأسهم العلامة محمد البشير الإبراهيمي، ويؤكد الشيخ الإبراهيمي على مفهوم الوحدة بالقول: «لم يمر على العرب عهد كانوا أحوج فيه إلى الإتحاد وجمع الكلمة من هذا العهد»<sup>(6)</sup> .

ومما سبق ذكره يمكن القول أن القومية العربية عند مفكري جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبالخصوص عند الشيخ البشير الإبراهيمي؛ شكلت ركيزة مهمة في نضالهم لانتشال الأمة الجزائرية العربية المسلمة من مشاريع المستعمر الفرنسي، والذي عمل على طمس عروبتها وإسلامها.

(1) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 1، ص ص 374 - 375.

(2) المصدر نفسه، ص 378.

(3) مالك بن نبي: من أجل التغيير، ص 61.

(4) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 4، ص 225.

(5) محي الدين صابر: محمد البشير الإبراهيمي والدعوة القومية، ص 117.

(6) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 4، ص 242.

## المبحث الرابع: المركز الوطني

البصيرة الواقعة النافذة الوطنية الجزائرية، جعلت العلامة محمد البشير الإبراهيمي يتتبعاً بثورة أول نوفمبر 1954 م الموافق لـ: الخامس من ربيع الأول 1374 هـ المباركة، فبعد أحداث الثامن ماي 1945 م قال: « إنها فورة ستعقبها ثورة »<sup>(1)</sup>، وقال في خطاب ألقاه في باريس بمناسبة نيل ليبيا استقلالها عام 1951 م: « إن الجزائر ستقوم قريباً بما يدهشكم من تضحيات وبطولات في سبيل نيل استقلالها وإبراز شخصيتها العربية الإسلامية »<sup>(2)</sup>، ونقله ممثل العراق لدى الأمم المتحدة<sup>(3)</sup>، كيف ذلك؟ وهو يعلم أنه يهيب لها الأرضية الفكرية الصلبة مع إخوانه في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فهو الذي مدحه صديقه ورفيق دربه الإمام ابن باديس، بعد كتابة لائحة " جمعية العلماء " وإقرارها سنة ( 1349 هـ - 1931 م ) : « عجبت لشعب أنجب مثل الشيخ البشير أن يضل في دين أو يخزي في دنيا، أو يذل لاستعمار »<sup>(4)</sup>.

الإصلاح في الرؤية الإسلامية يبدأ من الجذور والأصول والفلسفات، ومدرسة الإحياء والتجديد التي قادها الأفغاني ومحمد عبده، ركزت في الإصلاح السياسي على " الأصول " والتي توصل بعد ذلك إلى " الفروع " ، واهتمت " بلباب السياسة لا " بقشورها " ، وركزت على مفهوم " الأمة " كطريق " للدولة " ، واعتنت " بسياسة التربية " كسبيل " للتربية السياسية " ، ومنه أرادت وضع الوطنية على صخرة الإسلام الصحيح وعلقت آمالها على " العلماء " لا " الأمراء " ، ولقد استفادت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من هذا المنهج السياسي، كتب الإمام البشير الإبراهيمي سنة 1947 م<sup>(5)</sup> يقول « إن السياسة لباب وقشور،

(1) نقلا عن: عبد القادر قلاتي: الشيخ الإبراهيمي وثورة التحرير، ( جريدة البصائر، العدد 705، الجزائر، 25-29 رجب 1435 هـ الموافق لـ: 19-25 ماي 2014 ) ، ص 3.

(2) نقلا عن: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(4) محمد عماره: الشيخ البشير الإبراهيمي إمام في مدرسة الأئمة، ص 16.

(5) المرجع نفسه، ص ص 55 - 56.

... أما لباب السياسة، بمعناها العام ... هو عبارة واحدة: إيجاد الأمة ولا توجد الأمة إلا بتثبيت مقوماتها من جنس، ولغة، ودين، ...، والاعتزاز بقوتها المعنوية ... وترى أن وجود تلك المقومات شرط لوجودها، فإذا انعدم الشرط انعدم المشروط، ثم يفيض عليها من مجموع تلك الحالات إلهام لا يُغالب ولا يُردّ، بأن تلك المقومات متى اجتمعت تلاقحت، ومتى تلاقحت ولدت " وطنًا " <sup>(1)</sup>، لهذا التصور البناء عملت جمعية العلماء وفي سبيله لقيت الأذى والكيد.

فالحركة العلمية الجليلة لجمعية العلماء ونخص بالذكر الشيخ البشير الإبراهيمي بالقطر الجزائري، هي الأساس المتين للوطنية الحقيقية وهي الموجه الصحيح للأمة الجزائرية ، فهي ترمي إلى تصحيح القواعد المعنوية من عقل وروح، وتقوية المقومات الإجتماعية من دين ولغة وأخلاق، وفي الحقيقة هي الأسس المتينة التي قامت عليها الوطنيات في الأمم، يقول الإبراهيمي: « وهذه الحركة لا تبلغ مداها، ولا تؤتي ثمراتها، ولا تتمخض عن نهضة ثابتة إلا إذا استندت على عمادين قارين من علم وعمل » <sup>(2)</sup> ، فالشيخ محمد البشير الإبراهيمي حمل على عاتقه أمانة السير بهذه الأمة إلى الحياة عن طريق العلم والدين، وهي أقوم الطرق وأنجعها لمزاج الأمة.

فجمعية العلماء المسلمين الجزائريين أدركت بجلاء أن بقاء الاستعمار الفرنسي جاثماً على صدر الأمة زمناً طويلاً، يعود إلى ما يسمى بالقابلية للاستعمار؛ وذلك للانحراف الحاصل في عقيدة وفكر الشعب الجزائري، وأن العلاج المناسب يتمثل في إزالة تلك العلة من أساسها، أو كما قيل « أخرجوا المستعمر من أنفسكم يخرج من أرضكم » <sup>(3)</sup> ، وهذا ما يؤكد قوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (سورة الرعد ، الآية 11).

(1) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 3، ص 64.

(2) المصدر نفسه، ص 312.

(3) الدراجي زروخي: الأبعاد الفلسفية للنظام التربوي عند جمعية العلماء المسلمين، ص 32.

ووطنية العلامة محمد البشير الإبراهيمي الجزائرية الصادقة جعلته يفكر في الحالة التي عليها وطنه وأبناء وطنه، ورأى أن ذلك من حقه الطبيعي في إبداء رأيه بكل صراحة في ما يجب أن يناله من إصلاحات، وبصفته عالماً عربياً مسلماً رأى أنه من واجبه أن يدافع عن الإسلام وأحكامه ولغة دينه، وأن يظهر بشاعة الإدارة الاستعمارية الفرنسية في التعاطي معها<sup>(1)</sup>، يقول الشيخ الإبراهيمي: « الاستعمار الفرنسي في الجزائر وفي شمال إفريقيا عامة، هو أفظع أنواع الاستعمار التي عرفها البشر،... ينتهك حرمان الله وحرمان الإنسان على السواء »<sup>(2)</sup>.

ولجمعية العلماء الجزائريين في كل نقطة من السياسة الجزائرية في الحقيقة رأي أصيل تدافع عنه، وتخالف رأي غيرها بدليل وتوافقه بدليل لأنها؛ لا تقبل التقليد في الدين فكيف تقبله في الدنيا؟ فخلاصة رأي الجمعية في السياسة الجزائرية هو أنها تعمل على تحرير الجزائر على أساس العروبة والإسلام والعلم النافع، لذلك تبذل الجهود الجبارة وكلها استعداداً للإستقلال وتقريب لأجله، وهو ما لم يفقهه أو لا يريد فهمه الكثير<sup>(3)</sup>، فكما اصطدم العلماء بالطرقين اصطدموا أيضاً بخريجي المدارس الفرنسية أو بالأحرى المفرنسين وبالنواب، فالأولون كانت نظرتهم للعلماء على أنهم رجال دين أكثر منهم رجال ثقافة، ولم تكن فكرة الإصلاح في نظر هؤلاء الخصوم سوى قشرة رقيقة، والمتطرفون من خريجي المدارس الفرنسية أو ما يصطلح عليهم بالنخبة فقد كانوا يعتقدون بأن ثقافتهم هي ثقافة العصر، والأخذ بأسباب الحضارة الحديثة على حد زعمهم وتقليد الفرنسيين ولو اقتضى ذلك الاندماج والتجنس، وإن كان التصادم أقل وقعاً معهم من التصادم مع الطريقين<sup>(4)</sup>.

(1) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج 1 و 2: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 2، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1997، ص 134.

(2) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج 1 و 2: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 4، ص 87.

(3) المصدر نفسه، ص 171.

(4) أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3، ط 4، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1992، ص 96.

أما النواب فقد وقف منهم العلماء موقفاً غير مستقر، فمرة يتحالفون معهم، ويعتبرونهم ممثلي الأمة ويستفيدون منهم إذا ما ضيّقت السلطات الفرنسية الخناق عليهم، ومرة يهاجمونهم لركونهم للتأثير الفرنسي وينتقدونهم انتقاداً لاذعاً بدعوى أنهم لا يهمهم سوى أصوات الناخبين (1).

ولعل النتيجة المهمة التي توصل إليها الشيخ البشير الإبراهيمي بعد جهوده السياسية الكبيرة، ومن أهمها محاولة جمع الأحزاب والشخصيات الوطنية في "هيئة أحباب البيان"؛ هي اقتناعه أكثر بفساد أغلب تلك الأحزاب وأن تتاحرها في الحقيقة إنما من أجل المناصب والألقاب ليس إلا (2).

ويرى الشيخ البشير الإبراهيمي أن النقطة التي ابتدأ منها بلاء الأمة العربية الإسلامية وشقاؤها هي أنهم أرادونا على الانقسام، وزينوه لنا كما يزين الشيطان للإنسان سوء عمله، فصدقت الأمة ذلك وانقسمت، وعملوا على توسيع شقة الانقسام بين إخوانها بأموالهم وعلومهم وأرائهم الشيطانية، وفي الحقيقة لم يتركوا أداة من أدوات التقسيم إلا وسخروها في هذا السبيل، حتى بلغوا الغاية من ذلك، ثم عمدوا إلى خيرات الأمة فاحتكروها لأنفسهم واستخرجوها بعقولهم المدبّرة وأيدي الأمة المسخرة لذلك، يقول الشيخ البشير الإبراهيمي: «ولو أننا... لذننا بكعبة الوحدة نطوف بها ونلتزم أركانها، لما نالوا منا نيلاً، ولما وصلنا إلى هذه الحالة» (3)؛ فأول واجب على الأمة العربية الإسلامية هي أن تتبذ هذا الانقسام، وتكفر عليه بضده وهو الوحدة الشاملة (4)، ويؤكد الشيخ البشير الإبراهيمي ذلك بقوله: «إن الجزائر وطنكم الصغير، وإن إفريقيا الشمالية وطنكم الكبير، وإن فلسطين قطعة من جزيرة

(1) أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3، ص 96.

(2) نور الدين أبو لحية: جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية، ص 66.

(3) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج 2، ص 470 - 471.

(4) المصدر نفسه، ص 471.

العرب التي هي وطنكم الأكبر، وإن الرجل الصحيح الوطنية هو الذي لا تلهيه الأحداث عن القيام بواجبات وطنيه الأصغر والأكبر»<sup>(1)</sup>.

ولما صدع صوت الحق مؤذناً ببداية الثورة المباركة 1 نوفمبر 1954 م، ضد المستعمر الفرنسي، أصدرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في اليوم الموالي 2 نوفمبر 1954 م من مكتبها بالقاهرة بياناً، وزع على الصحافة المصرية ووكالات الأنباء العالمية ونشره الفضيل الورتلاني في كتابه " الجزائر الثائرة" <sup>(2)</sup>، ومما ورد فيه « أذاعت عدة محطات عالمية في الليلة البارحة أن لهيب ثورة اندلع في عدة جهات من القطر الجزائري، ... ولكننا عرفناها ولو من لحن القول، لأننا أفلاذ من ذلك الوطن العزيز» <sup>(3)</sup>، وفي 15 نوفمبر 1954 م أعقبته الجمعية ببيان نشر ووجه من القاهرة وهو منشور كذلك في كتاب " الجزائر الثائرة" للفضيل الورتلاني <sup>(4)</sup> ومما ورد فيه « نداء إلى الشعب الجزائري المجاهد: نعيذكم بالله أن تتراجعوا، بسم الله الرحمن الرحيم، أيها المسلمون الجزائريون: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، حياكم الله وأحيا بكم الجزائر، وجعل منكم نوراً يمشي من بين يديها ومن خلفها» <sup>(5)</sup>.

وبالمناسبة فلقد كان أول صوت مساند لاندلاع الثورة الجزائرية هو صوت الرئيس جمال عبد الناصر، في تصريحاته القوية لجريدة " كارفور " ، وتلقى الشكر من العظيمين السيدان: العلامة محمد البشير الإبراهيمي والفضيل الورتلاني <sup>(6)</sup>.

(1) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 2، ص 205.

(2) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 5، من هامش ص 37 .

(3) المصدر نفسه ، ص 37 .

(4) المصدر نفسه ، من هامش ص 33 .

(5) المصدر نفسه ، ص 33 .

(6) المصدر نفسه ، ص 49 .

لم يدخر العلامة محمد البشير الإبراهيمي جهداً في التعريف بالقضية الجزائرية العادلة سواءً في العالم العربي المسلم أو لدى المجتمع الدولي ككل، ولعل من العوامل الهامة التي ساعدته للنجاح في شرحها للرأي العام العربي وللمسؤولين العرب مثلاً؛ في كل من الحجاز، ومصر، والعراق، وسوريا، والكويت، وهي البلاد التي زارها قبل أن يستقر في القاهرة يعود إلى: « غزارة علمه، وبلاغة قلمه، وقوة حجته، وفصاحة لسانه، ... ولعل العامل الأهم في هذا النجاح هو موهبته الخطابية الفذة »<sup>(1)</sup>، ولم يكن الشيخ البشير الإبراهيمي يعمل لخير الوطن العربي المسلم فقط، بل عمل لخير الإنسانية جمعاء، فكما نافع ودافع عن وطنه الجزائر الأم، وعن الشمال الأفريقي، وعن فلسطين، آزر باكستان واندونيسيا وغيرها من البلدان، بل عن معركة الحرية حيثما كانت؛ ليت شعري، وكأنه يمثل في ذلك قول الشاعر: لما كان أصلي من تراب فكلها بلادي وكل العالمين أقاربي<sup>(2)</sup>.

وتغنى العلامة محمد البشير الإبراهيمي كثيراً بوطنيته الجزائرية بأرقى العبارات، يقول: « قُلْ للجزائر الحبيبة هل يخطر ببالك من لم تغيب قط عن باله ؟ ... فإذا قالوا: " الجزائر الخالدات " رجعنا فيك إلى توحيد الصفة وقلنا " الجزائر الخالدة " »<sup>(3)</sup> يضيف قائلاً: « ورضيت فوق الرضى بأبوتك لي أن رضيت ببنوتي لك، ويميناً لو تبرجت لي المواطن في حلها، وتظامنت لي الجبال بقلها، لتفتني عنك لما رأيت لك عديلاً، ولا اتخذت بك بديلاً، ... ولنا في رسول الله أسوة حسنة في حبه لمكة »<sup>(4)</sup>.

ووطنيته الصادقة جعلته لم يتوانى ويتردد في العودة إلى وطنه الجزائر، بعد خلافات ما بعد الاستقلال، كتب جميل سليم: أعلن الشيخ البشير الإبراهيمي « إذا استمر الخلاف ..

(1) تركي رباح عمامرة: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية ( 1931 - 1956 م ) ورؤساؤها الثلاثة، ص 286.

(2) عبد الرحمن الجيلالي: أسطر حول نشاط الشيخ البشير الإبراهيمي، ضمن كتاب جماعي: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، ص 382.

(3) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج 4، ص 182 - 183.

(4) المصدر نفسه، ص 184.

فسوف أذهب إلى هناك، إلى الجزائر .. وأقابلهم واحدًا واحدًا .. إنهم أبنائي .. وهم لا يريدون بالطبع لوطنهم أن يتمزق .. إنني سأذهب .. لن أتوانى .. لن أتردد .. إنني أحبهم جميعًا»<sup>(1)</sup>؛ هي في الحقيقة قمة الوطنية والرجولة الجزائرية، وفي 16 أبريل 1964 م أصدر العلامة محمد البشير الإبراهيمي بيانًا ومما قال فيه : « كتب الله لي أن أعيش حتى استقلال الجزائر، ويومئذ كنت أستطيع أن أواجه المنية مرتاح الضمير،... وقد آن أن يحتشد أبناء الجزائر كي يشيدوا جميعًا " مدينة " تسودها العدالة والحرية " مدينة " تقوم على تقوى من الله ورضوان»<sup>(2)</sup>، سئل العلامة البشير الإبراهيمي مرة عن حالته المادية فأجاب: « ليس لي مال موروث ولا مكتسب، ... وسامح الله الأخ الذي أدمج هذا السؤال في الأسئلة فأخرجني بالسؤال، وأحوجني بالإجابة ... الواقع ... أنني أعيش بالدين " بفتح الدال " ، ولي في خلاص هذا الدين طريقة وهي قضاء الدين بالدين»<sup>(3)</sup>.

ومما سبق ذكره يمكن القول أن الوطنية الصادقة الصحيحة وما تقتضيه من واجبات ، هي التي تجعل المرء يعيش لوطنه الصغير الجزائر ووطنه الأكبر العالم العربي الإسلامي ، وهذا ما جسده العلامة محمد البشير الإبراهيمي في حياته، التي كانت في الحقيقة كلها نضالاً ومجاهدة من أجل تحقيق المفهوم الحقيقي للوطنية.

(1) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 5، ص 303.

(2) المصدر نفسه، ص 317.

(3) المصدر نفسه، ص 170.

# الفصل الثالث

مقومات المشروع التربوي عند محمد البشير الإبراهيمي

المبحث الأول : المعلم

المبحث الثاني : المتعلم

المبحث الثالث : المادة العلمية

المبحث الرابع : طريقة التعليم

## المبحث الأول: المعلم

تشكلت التربية العربية الإسلامية وفق احتياجات ومتطلبات الإنسان في الحياتين الدنيا والآخرة، والمنتبع لمسارها ومنطلقها يجد أفضل الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، والذي اجتمعت في شخصيته عليه الصلاة والسلام صفات في مقدمتها الأخلاقية أهله كي يقود عملية إعادة صياغة شخصية الإنسان العربي المسلم كي يكون إشعاعاً للبشرية، مما جعله بحق المربي الأول<sup>(1)</sup>، فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إنما بعثت معلماً »<sup>(2)</sup>، واعتمد في سبيل هذا على مجموعة من الصحابة والأخيار وكان يطلق على المربين الأوائل اسم " القراء " ، لإحداث التغيير الجذري في الفرد بصفة خاصة والمجتمع بصفة عامة<sup>(3)</sup>.

والعلماء هم خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم، فعن طريقهم تستمر رسالته ويبقى منهجه؛ وهذه المنزلة لا تتأتى إلا لعالم يقتدي بالرسول صلى الله عليه وسلم في سيرته وأخلاقه<sup>(4)</sup>، وعلى هذا الدرب سار العلامة محمد البشير الإبراهيمي، الذي كانت رسالته رسالة إيمان وعلم وتحرير للشعب الجزائري العربي المسلم، فقد كرس حياته من أجل نشر الوعي الإسلامي والعلم بين أبناء وطنه الجزائر<sup>(5)</sup>؛ من خلال التربية والتي هي الأسلوب النقيض الذي يراه الشيخ البشير الإبراهيمي لمواجهة أسلوب الإستعمار، فهو يهدم وجمعية العلماء تبني ، وهو - الإستعمار - يقلع وهي تزرع<sup>(6)</sup>.

(1) سعيد اسماعيل علي: الفكر التربوي العربي الحديث، (د ط)، عالم المعرفة، الكويت، (د ت)، ص 13.

(2) عبد الحميد بن باديس: آثار الإمام، ج 4، (د ط)، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 74.

(3) سعيد اسماعيل علي: الفكر التربوي العربي الحديث، ص 13.

(4) ماجد عرسان الكيلاني: الفكر التربوي عند ابن تيمية، ص 178.

(5) محمد فاضل الجمالي: الإبراهيمي ورسالته التربوية، ضمن كتاب جماعي: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، ص 132.

(6) شكري فيصل: قضايا الفكر في آثار الإبراهيمي، ضمن كتاب جماعي: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، ص 177.

وتعتبر الأسرة اللبنة الأولى في تربية الولد، فلأبوين دور كبير في إعداد الناشئة فهم الأساس في صلاحهم أو فسادهم، وفي حفظ فطرة التدين لديهم أو تحويلها إلى غير ما كانت عليه، وهذا ما يؤكد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه »<sup>(1)</sup>، ثم يأتي دور المدرسة والمعلم الذي يصبح حجر الرجي، والأساس المتين في إعداد الجيل الناشئ<sup>(2)</sup>، يقول الشيخ البشير الإبراهيمي: « حياة الأمم في هذا العصر بالمدارس، ما في هذا شك، إلا في قلوب ران عليها الجهل، وغان عليها الفساد، ونفوس ختم عليها الضلال، وضرب على مشاعرها المسخ، وطال عليها الأمد في الرق، فصدت منها البصائر، وعميت الأبصار »<sup>(3)</sup> يضيف مؤكداً ذلك بالقول « الحياة بالعلم، والمدرسة منبع العلم، ومشرع العرفان، وطريق الهداية إلى الحياة الشريفة »<sup>(4)</sup>؛ يتضح لنا من خلال القولين أن الشيخ البشير الإبراهيمي يعطي للمدرسة مكانة هامة في التأسيس لحياة الأمة العربية الإسلامية، فماذا عن دور المعلم الطرف الأبرز في المعادلة؟

يخاطب الشيخ البشير الإبراهيمي المعلمين بالقول: « هذه حالتنا - يا أبنائي نهدم ونرفع الأنقاض ونبني ونعمر في آن واحد، ونؤدّي فريضة الوقت ونقضي الفوائت على غيرنا في آن واحد، ثم نؤدّي الكفارات على ذنوب لم نجتريها »<sup>(5)</sup>؛ فالأباء في الحقيقة تركوا لعلماء جمعية العلماء المسلمين تركة ثقيلة من عصور تراجع الحضارة العربية الإسلامية بالإضافة لدور الاستعمار الفرنسي، والدور المنوط بالمعلمين في التربية والتعليم، لا يتم إلا إذا تحلوا بمجموعة من المبادئ والقيم والسلوكات تعكس ما هو مطلوب منهم يراها العلامة محمد البشير الإبراهيمي كفيلة بتحقيق ذلك وهي:

(1) أسعد السحمراني: الشباب في فكر الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ( جريدة البصائر، العدد 244، الجزائر، 06 - 13 جمادى الأولى 1426 هـ الموافق لـ : 13 - 20 جوان 2005 م ) ، ص 10.

(2) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(3) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 3، ص 258.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(5) المصدر نفسه، ص 264.

- 1- أبناء الأمة وأفلاذ أكبادها أمانة لديكم - المعلمين - ومنه وجب أن « تديرون نفوسهم على الدين وحقائقه، وألسنتهم على اللسان العربي ودقائقه ... وتديرون أرواحهم بالفضيلة والخلق المتين، وتروضونهم على الاستعداد للحياة الشريفة بعد أن تجتثوا من نفوسهم بقايا آثار المنزل الجاهل، والأب الغافل »<sup>(1)</sup>.
- 2- يقدم الشيخ البشير الإبراهيمي التربية على التعليم يقول: « واحرصوا كل الحرص على أن تكون التربية قبل التعليم »<sup>(2)</sup>، ويطلب منهم أن يجعلوها حقيقة توضع نصب أعينهم في تربية هذا الجيل الصغير وتكوينه، فهو يرى أن هذا الجيل تنقصه الأخلاق فمنها تأتي الخيبة والإخفاق.
- 3- الحرص على أن تنطبق أقوالهم - المعلمين - مع ما يراه ويشهده التلاميذ منهم من الأعمال؛ يقول: « فإن الناشئ الصغير مرهف الحس، طُلعة إلى مثل هذه الدقائق التي تغفلون عنها، ولا ينالها اهتمامكم، وإنه قوي الإدراك للمعائب والكمالات ... واعلموا أن كل نقش تنقشونه في نفوس تلامذتكم من غير أن يكون منقوشاً في نفوسكم فهو زائل »<sup>(3)</sup>.
- 4- يوصيهم بتقوى الله فهي « العدة في الشدائد، والعون في الملمات، وهي مهبط الروح والطمأنينة، وهي منزل الصبر والسكينة، وهي مبعث القوة واليقين »<sup>(4)</sup>، وكذلك بالرفق والأناة في الأمور كلها.
- 5- ويوصيهم بالإبتعاد عن الحزبيات يقول: « التي نجم بالشر ناجمها وهجم - ليفتك بالخير والعلم - هاجمها، ... إنّ هذه الأحزاب، كالميزاب، جمع الماء كدرًا، وفرقه

(1) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 3، ص 264.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المصدر نفسه، ص 265.

هدراً، فلا الزُّلال جمع، ولا الأرض نفع» (1) ، وبحسن العشرة مع بعضهم إذا اجتمعوا، وبحفظ العهد والغيب إذا افترقوا (2) .

6- وفيما يخص الشعائر الدينية يقول: « وأن تأخوذوهم بممارسة الشعائر الدينية صغاراً، حتى نأمن تضييعهم لها كباراً، وأن تزرعوا في نفوسهم حب ... الله ورسوله والإسلام قبل ذلك وبعده » (3) .

7- وبتربيتهم على ما ينفعهم وينفع الوطن بهم يقول: « فهم أمانة الوطن عندكم، وودائع الأمة بين أيديكم » يضيف قائلاً: « ربوهم على التحابّ في الخير، والتآخي في الحق، والتعاون على الإحسان، والصبر إلا على الضيم، والإقدام إلا على الشر، والإيثار إلا بالشرف، والتسامح إلا في الكرامة » (4) .

8- وبتربيتهم على استخدام المواهب الفطرية أي العقل في التفكير، وعلى « صدق التصور وصحة الإدراك ودقة الملاحظة والوقوف عند حدود الواقع » (5) .

9- وينبههم أي - المعلمين - إلى أن المبالغة في مدح المجتهد من تلامذتهم، هو مدعاة للغرور؛ فأخمد نشاط خيرٍ من إشعال غرور في نفس التلميذ، فالنشاط قد يعاود بينما الغرور لا يُزال يؤكد ذلك بالقول: « فاحذروا الزّلة في هذا المزلق، وحذّروا تلامذتكم منها بالقول والعمل » (6) .

10- وبتربيتهم على أخذ الأمور بأسبابها، وبناء النتائج على المقدمات علماً وعملاً ؛ فالعلم يبدأ من هذه البسائط يقول: « التي تقع عليها حواسكم في الحياة في كل لحظة فتحقرونها ولا تلقون لها بالاً، مع أن مجموعها هو العلم إذا وجد ذهنًا

(1) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 3، ص 265.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، ص 268.

(4) المصدر نفسه، ص 271.

(5) المصدر نفسه، ص 272.

(6) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

محللاً، وهو الحياة إذا وجدت عقلاً مفصلاً»<sup>(1)</sup>، فحتى تبنى في نفوسهم من الصغر ملكة التعليل وجب أن تبيّن لهم العلل والأسباب يقول: « فإن الغفلة عن الأسباب هي إحدى المهلكات لأمتكم »<sup>(2)</sup>.

11- يدعوهم إلى أن يمزجوا لهم العلم بالحياة، والحياة بالعلم؛ فهذا التركيب يأتي بعجيبة، وينهاهم أن يعمرؤا أوقاتهم كلها بالقواعد، يوضح ذلك بالقول: « فإن العكوف على القواعد هو الذي صير علماءنا مثل " القواعد " ، وإنما القواعد أساس، وإذا أنفقت الأعمار في القواعد فمتى يتم البناء ؟ »<sup>(3)</sup>.

12- ويذكرهم بأن كل واحد منهم - المعلمين - هو في الحقيقة صورة مصغرة من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في نظر الأمة؛ يقول: « وجمعية العلماء هي رمز الدين الصحيح، وهي حارس الفضيلة الإسلامية، وهي المثال المفسر للحكمة المحمدية بأحسن تفسيراتها... واعلموا أن كل زلة منكم - وإن صغرت - محسوبة على جمعية العلماء، منسوبة إليها »<sup>(4)</sup>.

المتأمل لما ذكرناه سابقاً وأقصد بذلك هذه المبادئ والقيم والسلوكات التي ارتآها علامتنا محمد البشير الإبراهيمي " مرشداً للمعلمين " ، يجد أنه يركز فيها كثيراً على الأخلاق ودورها في صقل شخصية الجيل الناشئ، يقول مخاطباً المعلمين: « لا يضيركم ضعف حظكم من العلم إذ وفر حظكم من الأخلاق الفاضلة »<sup>(5)</sup>، مقرونة بعلم تراعى فيه

(1) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 3، ص 272.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المصدر نفسه، ص 271.

(5) المصدر نفسه، ص 268.

الدقة والموضوعية، فشخصية المعلم لها أثر كبير في عقول ونفسيات تلامذته، فهم يتأثرون بكل ما يصدر عنه في تلك السن الصغيرة<sup>(1)</sup>.

وللمعلمين حقوق على الأمة فهم الطائفة المجاهدة في سبيل تعليم أبنائها لغتهم العربية، وتربيتهم على عقائد وأركان دينهم، وطبعهم على آدابه وأخلاقه، الصابرة على مكاره الحياة كلها المحرومة من الراحة في جميع أوقاتها<sup>(2)</sup>، والشيخ البشير الإبراهيمي لم يغفل عن ذلك يقول: « أي أبنائي ! إن هذا القلب الذي أحمله يحمل من الشفقة عليكم، والرحمة بكم، والاهتمام بشؤونكم، ما تنبت منه الحبال، وتتوء بحمله الجبال »<sup>(3)</sup>، فهذه الطائفة - المعلمين - تكابد وتعاني من؛ ضيق العيش، وتنكّر من الدهر، وهي في الحقيقة عماد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في أهم وظائفها وهي التربية والتعليم، وهي عصب هذه الحركة المباركة، وهي تتلقى الحد الأدنى في أجرها المادي مما يقوم بالضروريات، عن طريق الجمعيات المحلية المشرفة على المدارس، وهي المرجع الوحيد في ماديات المدارس على حسب طاقتها<sup>(4)</sup>، وهي تعلم ما يعانيه المعلم من آلام في حياته.

ولو كان لمدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مددٌ ثابت من الأثرياء وحق الله في أموالهم، يقول الشيخ البشير الإبراهيمي: « لجعلناه بعض ما نبني عليه في التوسيع على المعلمين وإزاحة بعض علّهم، ولكننا هزّنا هؤلاء الأغنياء بما يهتّر له الكرام، فلم تسقط منهم ثمرة »<sup>(5)</sup>، فالموانع كثيرة والعوائق عن الخير وفيرة، لكنها ما عاقت العلم والدين، ولا وقفت عثرةً في طريقهما؛ فهي عند الرجال مصاعب سهلة التذليل، « لأنهم يعتبرونها

(1) أحمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام، ص 201.

(2) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 3، ص 277.

(3) المصدر نفسه، ص 265.

(4) المصدر نفسه، ص ص 277 - 278.

(5) المصدر نفسه، ص 278.

عوارض تزول، وأحوالاً تتحوّل، فيكون فهمهم لها وتصوّره إياها على حقيقتها أكبر أعوانهم عليها، فيلقونها بالهمم النافذة، والتصميم الخارق، والصبر الثابت « (1).

فهذه الطائفة المجاهدة الصابرة حينما تتوقّع الموت، ولا ترفع الصوت، ولا سند لها بعد الله سبحانه وتعالى إلا جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي حببت إليها هذا الدرب وجعلت له مكاناً في قلوبها، ثم ساقتها إلى ميادينه، يقول العلامة البشير الإبراهيمي: « أما والله لو أستطعتُ لأعطي المعلمَ جماً، ثم لأوسعت العطاء ذمّاً، حتى تقوى فيه نزعة الكرامة وشرف العلم، والشعور بأن العلم كالعبادة، وكفاؤه الأجر من الله لا الأجر من المخلوق » (2)؛ فالشيخ البشير الإبراهيمي عمل كل ما في وسعه من أجل توفير الراحة والطمأنينة للمعلم، أي بمعنى خلق جو يساعد المعلم على أداء مهمته النبيلة.

بالإضافة إلى مشكلة العامل المادي كان معلمو المدارس الحرة التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، يعانون من اضطهاد الاستعمار الفرنسي وقمعه، فقد تعرضوا لعقوبات الحبس والتغريم والمحاكمة كالمجرمين بتهمة فتح مدرسة مثلاً بدون رخصة وفي يوم الجمعة بهدف الإهانة والإذلال (3)، وهذا ما عناه العلامة محمد البشير نفسه من تضيق ومتابعة وسجن بسبب جهوده التعليمية.

وفي محاولة تحسين المنظومة التعليمية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين أسست لجنة التعليم العليا عام 1948 م، وحاولت هذه اللجنة حل المشاكل التربوية التي تواجه المعلمين، بملتقيات تجمعهم وتدرس فيها مشكلاتهم، كما كانت تلقي دروساً نموذجية لتنمية ثقافة المعلمين وتوسيع خبرتهم « أما في عام 1951 م فقد أعلنت اللجنة نفسها قرارها بالإجماع في اعتبار الشهادات العلمية كتهادة التحصيل من جامع الزيتونة شرطاً أساسياً

(1) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج 3 و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 3، ص 278.

(2) المصدر نفسه، ص 279.

(3) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 10، (د ط)، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 58.

لقبول المعلمين بمدارس الجمعية»<sup>(1)</sup>، ثم أصبح تعيين المعلمين لا يخضع فقط لهذه الشهادة، بل أضيف لها منذ 1953 م اجتياز امتحان خاص أصطلح عليه " امتحان أهلية التعليم " ويتضمن ثلاث شروط وهي؛ إلقاء درس على جمع من الطلبة بإتباع مناهج التعليم للجمعية، موضوع إنشائي، وسؤال تربوي<sup>(2)</sup>.

فلقد ضمت جمعية العلماء في صفوفها خيرة المعلمين من أبناء الجزائر، تلك الوجوه النيرة التي برزت في الحقل التربوي، وكان لآرائها أثر عميق في تكوين وعي إسلامي جديد يقظ جرف في تياره إتجاهات اجتماعية وسياسية متعفنة، وأرسى قواعد أخلاقية ودينية صحيحة « تفتنت معها ذهنيات متحجرة وانفتحت أفاق منحصرة واسترجعت القلوب البائسة أمل إمكانية النهوض بعد الرقود الطويل »<sup>(3)</sup>، ويأتي على رأس هذه التلة الموقرة المعلمين عبد الحميد ابن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي اللذين نهجًا خط رسول الله صلى الله عليه وسلم المعلم الأول<sup>(4)</sup>.

ومما سبق ذكره يمكن القول أن المعلم كأحد المقومات الرئيسية في العملية التعليمية والتعلمية، رأى العلامة محمد البشير الإبراهيمي بأنه وجب أن تتوفر فيه مجموعة من المبادئ والقيم والسلوكات يمكن تلخيصها بهذه المعادلة البسيطة وهي: أخلاق عربية إسلامية + علم دقيق = معلم ناجح في عمله.

(1) جميلة حيدرة: المناهج التربوية كواجهة ثقافية للمجتمع، ( مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ج 1، العدد 12، جامعة محمد بوضياف المسيلة - الجزائر، جوان 2017 )، ص 178.

(2) المرجع نفسه، ص 178.

(3) علي زيكي: فلسفة التعليم عند الشيخ البشير الإبراهيمي، ضمن كتاب جماعي: الشيخ محمد البشير بأقلام معاصريه، ص 325.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

## المبحث الثاني: المتعلم

لا تستقيم حياة الإنسان إلا بالعلم، والعلم لا يتم إلا بالتعلم، والعالم والمعلم كانا مُتعلِّمين، فمحمد صلى الله عليه وسلم كان أيضاً مُتعلِّماً؛ علمه ربه سبحانه وتعالى عن طريق جبريل عليه السلام، ثم أصبح مُعلِّماً للناس أجمعين، « رأيت شرف رتبة التعلم والتعليم، لا جرم كان لرتبة التعلم آدابها ... وكان محمد صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق في آدابها بما أدبه الله وأنزل عليه من الآيات »<sup>(1)</sup>، فقيمة التعلم عظيمة وهذا ما يسنده قوله صلى الله عليه وسلم في حديثه: « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً؛ سهّل الله له طريقاً إلى الجنة »<sup>(2)</sup>.

وفي تاريخ حضارتنا العربية الإسلامية عبر وعضات، وهو ما يريد أن ينقله إلينا العالم محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله عن تعلمه لعله يكون نبزاً هادياً للمتعلمين يقول: « كنت يتيماً في حجر أمي، فدفعتني في الكتاب ولم يكن عندها ما تعطي المعلم، فكان المعلم قد رضي مني أن أخلفه إذا قام فلما ختمت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء ... ولم يكن عند أمي ما تعطيني أن أشتري به قرطيس قط، فكنت إذا رأيت عظماً: يُلوح؛ فأخذه فأكتب فيه »<sup>(3)</sup>؛ المستفاد من هذا القول أن طريق المتعلم الجاد فعلاً في طلب العلم يجد فيه صعوبات وعوائق كثيرة، يتغلب عليها إن هو تحلى بإرادة وصبر كبيرين.

والعلامة محمد البشير الإبراهيمي اهتم كثيراً بالمتعلمين باعتبارهم أبناءه كيف ذلك؟ وهم أبناء وطنه الجزائر بصفة خاصة والأمة العربية الإسلامية بصفة عامة يخاطبهم قائلاً: « إنكم يا أبناءنا من أطامنا، ومستودع أمانينا، نعدكم لحمل الأمانة وهي ثقيلة، ولاستحقاق الإرث، وهو ذو تبعات وذو تكاليف، وننتظر منكم ما ينتظره المدالج في الظلام من تباشير

(1) عبد الحميد بن باديس: آثار الإمام، ج 1، ص 203.

(2) الحافظ ابن عبد البر: صحيح جامع بيان العلم وفضله، أعده وأختصره وهذبه: أبو الأشبال الزهيري، ط 1، الناشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1996، ص 16.

(3) نقلاً عن: المرجع نفسه، ص ص 112 - 113.

الصباح»<sup>(1)</sup>، بالإضافة لما علقه فيهم من آمال، يقدم لهم مجموعة من المبادئ والقيم والسلوكيات تكون لهم حصناً في مسيرتهم لطلب العلم وهي:

1- يبين لهم أن الحياة قسمان: علمية وعملية، وأن الثانية تبنى على الأولى قوة وضعفاً، وإنتاجاً وعمقاً، « وإنكم لا تكونون أقوياء في العمل إلا إذا كنتم أقوياء في العلم، ولا تكونون أقوياء في العلم إلا إذا انقطعتم له ووقفتم عليه الوقت كله »<sup>(2)</sup>.

2- وأن العلم لا يعطي للمتعلم ثماره، إلا لمن كان مهرة سهر الليالي في طلبه، وصرف إليه قوة الاجتهاد.

3- ينصحهم بأن لا يكتفوا فقط بحلق الدروس وحدها، وإنما تدعيمها بالذاكرة، يؤكد ذلك بقوله: « إن المذاكرة لقاح العلم، فاشغلوا أوقاتكم حين تخرجون من الدرس بالذاكرة في ذلك الدرس »<sup>(3)</sup>.

4- ينصحهم كذلك بمطالعة الكتب السهلة المبسطة؛ فيها تستحكم الملكة ويتسع الإدراك.

5- ينبههم إلى عدم إهدار أوقاتهم في ذرع الأزقة، إلا بمقدار ما يعيد لهم نشاطهم البدني<sup>(4)</sup>.

6- يرشدهم إلى عدم الاكتفاء بحفظ المتون فقط، بل بحفظ كل ما يقوي مادتهم اللغوية، ويوسع ثروتهم الفكرية، ويقوي ملكتهم البيانية.

7- يؤكد لهم ويذكرهم بكتاب الله يقول: « والقرآن القرآن ! تعاهدوه بالحفظ وأحيوه

(1) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج 3، ص 201.

(2) المصدر نفسه، ص 203.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

بالتلاوة، ورتّبوا ألسنتكم على الاستشهاد به في اللغة والقواعد، وعلى الاستشهاد به في الدين والأخلاق»<sup>(1)</sup>.

8- وفي حب وطنهم، يقول: « لا يعذلكم في حب وطنكم إلا ظالم، ولا يصرفكم عن إتقان وسائل النفع له إلا أظلم منه، أنتم اليوم جنود العلم فاستعدّوا لتكونوا غداً جنود العمل»<sup>(2)</sup>.

9- يوضح لهم بأن قوة البدن، وقوة الروح، والفضيلة والعزيمة، هي ما يريدُه وطنكم منكم وينتظره، ويحفزهم بالقول: « ومحال أن تخرج الحالة التي أنتم عليها جيلاً بهذه الصفات»<sup>(3)</sup>.

10- ينصحهم بالابتعاد عن الخيالات والأمانى الزائدة عما هو كائن، فهذا هو منشأ القلق والاضطراب حين الاحتكاك بالواقع الفعلي، يقول: « فادفعوا عنكم هذه الخيالات، ووطنوا النفوس على أنكم تلقون من البلاء والمجهد في الحياة العملية أضعاف ما تلقون منهما في الحياة العلمية»<sup>(4)</sup>.

المتأمل لهذه المبادئ والقيم والسلوكيات، يجد أن العلامة محمد البشير الإبراهيمي يريد إخراج جيل من المتعلمين متتوراً غزيراً في العلم، قوي في عقيدته الإسلامية ولغته العربية، صادق في وطنيته.

وعن مكانتهم - المتعلمين - الخاصة عند العلامة محمد البشير الإبراهيمي يقول: « لستم منا بموضع الهوان حتى ننساكم، وليس شأنكم عندنا بالهين حتى لا نفكر فيه، وليس مستقبلكم في نظرنا بالرخيص حتى لا نغالي فيه، إنما أنتم عندنا أحجار بناء المستقبل المجيد... وإنما أنتم ذخائر الغد فواجب أن نحافظ وأن نضنّ، وإنما أنتم كفارة ما اجترحنا

(1) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج 3، ص 204.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

من سيئات، ولا يقبل الله إلا الطيب، إنما أعماركم صحائف في تاريخ هذه الأمة، فجدِّد بنا وبكم أن نعلمها بالباقيات الصالحات»<sup>(1)</sup>، فالشيخ البشير الإبراهيمي يهدف من وراء ذلك إلى رفع معنويات المتعلمين.

وكان الاستعمار الفرنسي يضيق الخناق على تعليم أبناء الجزائر، وبالخصوص التعليم العربي الإسلامي، ويفرض التعليم على أبنائه وفي وطنه، ومن مكره أن الكثير من المدارس الفرنسية كانت تمتد ساعات الدراسة في المساء حتى الخامسة، وذلك بهدف تفويت ميقات المدرسة العربية على التلميذ، وفصلهم عن أبناء الأوروبيين في التعليم الابتدائي في مكاتب خاصة بهم، يطلق عليها " مدرسة أهلية " ، ولو كانوا أبناءها لما عاملتهم هذه المعاملة<sup>(2)</sup>.

وللشباب أولى العلامة محمد البشير الإبراهيمي عنايته الكبيرة، والمعروف عنه ضبطه لمفاهيمه ومصطلحاته بدقة لذلك في تعريفه للشباب يقول: « ولست أعني بهذا اللفظ معناه المصدري في عرف اللغة، ولا ذلك الطور الثالث من عمر هذا الصنف البشري في مقاييس الأعمار، وإنما أعني بهذا اللفظ طائفة من الآناسي انتهوا في الحياة إلى ذلك الطور الثالث بعد الطفولة واليفاعة، فجمعتهم اللغة على شبيبة وشبان، ووصفتهم بالمعنى في نحو لطيف من أنحاء فقالت: شباب وشبيبة»<sup>(3)</sup>، فشباب الأمة هم عمادها، وهم سر كينونتها، وخيرتهم هم المتعلمون المثقفون، وصفوتهم هم المتشبعون بروح الثقافة العربية الإسلامية، الواصلون لمستقبلها بماضيها، وهذا النوع هو ما تسعى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لتكوينه وفي سبيله تجاهد<sup>(4)</sup>.

(1) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج 3 و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 3، ص 413.

(2) المصدر نفسه، ص 220، 221، 230.

(3) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج 3 و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 4، ص 267.

(4) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج 3 و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 2، ص 453.

فالشباب المحمدي كما يرى العلامة محمد البشير الإبراهيمي الحاملون لخصائص الأمة العربية الإسلامية، أحقّ شباب الأمم بالسبق في الحياة، وأخذهم بأسباب القوة، كيف ذلك؟ لأن لهم من المحفزات في دينهم الإسلامي ما يؤهلهم لذلك، ولهم في تاريخه من الأعلام ما يبلغهم ذلك<sup>(1)</sup>، وهنا أريد أن أدم ما رآه علامتنا محمد البشير الإبراهيمي بدور القدوة في تحقيق ذلك، فالقدوة الحسنة تزرع في الشباب ميلاً وطموحاً نحو السمو والارتفاع، مهما كانت التضحيات، وهو ما نجده عند الصحابة والتابعون لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن بعدهم بقيت القدوة في الطائفة المختارة في الأمة العربية الإسلامية عصمة لها من الزيغ والضلال، ولنا في رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم قدوة حسنة، رغم انتقاله إلى الرفيق الأعلى، ولتبقى سيرته العطرة محققة لذلك<sup>(2)</sup>.

أقامت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للشباب النوادي لتكون همزة وصل بين المدرسة والمسجد، باعتبار أن طبقات المجتمع عند الشيخ البشير الإبراهيمي ثلاثة وهي الأطفال والشباب والشيخوخ، فأنشئت - النوادي - لكي يلتقي فيها الشبان، ولقد كانت جمعية العلماء تهدف من وراء ذلك لتحقيق:

- تجميع الشباب على اختلاف نزعاتهم الفكرية والثقافية والسياسية لتوجيههم وإرشادهم وذلك بتوفير الصحف للمطالعة مثلاً.
- سد الفراغ القاتل الناجم عن البطالة بمواد تربوية نافعة لهم.
- إبعادهم عن المقاهي والحانات المنتشرة في المجتمع المهذرة والمعطلة للطاقات.
- تصحيح الأفكار والمفاهيم خاصة عند المثقفين بالثقافة الفرنسية، وذلك عن طريق إحياء الذاكرة التاريخية لهم، وبعث اللغة العربية من جديد في عقول هؤلاء

(1) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 4، ص 121.

(2) علي جريشة: نحو نظرية للتربية الإسلامية، ط 1، دار التضامن للطباعة، القاهرة، 1986، ص ص 179 - 180.

## (1) الشباب .

والعلامة محمد البشير الإبراهيمي لا يتوانى عن التأكيد على التربية الإسلامية لشباب الأمة العربية الإسلامية، فيوصيهم أن يتصلوا بحبل الله المتين تديبًا وبنبيهم محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه إتباعًا، وبإخوانهم في الإسلام من الشبيبة اعتناءً واهتمامًا<sup>(2)</sup>، يقول الشيخ البشير الإبراهيمي: « ثم أهتف بشباب الإسلام ليعلموا أن الإسلام ليس لفظًا تلوكه الألسنة المنفصلة عن القلوب، ... وتقلبه اشتقاقات اللغة على معانيها الوضعية فينزل به إلى المعاني الوضعية من السلم إلى الاستسلام ... إلا أن في الإسلام الشرعي نوعًا من معنى الإسلام اللغوي، ولكنه أرفع تلك المعاني وأعلاها، هو معنى تتقطع دونه الأفهام والأوهام<sup>(3)</sup> »، وكتاب الله القرآن هو النور والبرهان وهو الحجة البالغة، « فلا يزهدنكم فيه زنديق يُؤوّل وجاهل يعطل ومستشرق خبيث الدخلة، يتخذة عضين ليفتن الغافلين، ويلبس على المستضعفين<sup>(4)</sup> »، فحيًا الله شباب الإسلام وأبقاهم في الدفاع عن حياضه، وللغة العربية يردون لها نضرتها وشبابها، ولمواطن الإسلام يصونون عرضها<sup>(5)</sup>.

وفي تمثل علامتنا محمد البشير الإبراهيمي لشباب الأمة العربية الإسلامية دمها القاني الذي ينبض قلبها به، يقول: « أتمثله واسع الوجود، لا تقف أمامه الحدود، يرى كل عربي أخًا له أخوة الدم، وكل مسلم أخًا له أخوة الدين، وكل بشر أخًا له، أخوة الإنسانية، ثم يعطي لكل أخوة حقها فضلاً وعدلاً، ... أتمثله مقبلاً على العلم والمعرفة ليعمل الخير والنفع

(1) سمير أبيش: الجهود التربوية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في بناء المجتمع الجزائري ( 1931 - 1956 م )، (مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، مركز جيل البحث العلمي، العدد 26، طرابلس - لبنان، ديسمبر 2016)، ص 110.

(2) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 4، ص 121.

(3) المصدر نفسه، ص ص 268 - 269.

(4) المصدر نفسه، ص 270.

(5) المصدر نفسه، ص 271.

إقبال النحل على الأزهار ... مقبلاً على الارتزاق إقبال النمل ... ولا تبالي ما دامت دائبة  
«(1)،

وفي شعر المتنبي ما يهوى علامتنا محمد البشير الإبراهيمي:

وأهوى من الفتيان كل سميذع أريب كصدر السمهري المقوم

خَطَّت تحته العيسُ الفلاةَ وخالطت به الخيل كَبَات الخميس العرمم

يقول الشيخ البشير الإبراهيمي « يا شباب الجزائر هكذا كونوا ! .. أو لا تكونوا ! .. » (2) ،  
وفي أخلاقه ومشمولاتها يقول: « أتمثله محمديّ الشمائل، غير صحّاب ولا عيَّاب، ولا  
مغتاب ولا سبَّاب، عَفَّا عن محارم الخلق ومحارم الخالق، مقصور اللسان إلا عن دعوة إلى  
الحق، أو صرخة في وجه الباطل، متجاوزاً عما يكره من إخوانه، لا تتطوي أحنأؤه على  
بغض ولا ضغينة » (3) .

وشباب الجزائر فكروا بعد الثورة التحريرية 1954 م بثمانية أشهر، في إنشاء تنظيم  
طلابي، يساير الروح الجديدة ويعطي لها صدًى، ويجمع الشبيبة المتقفة المؤهلة لخدمة الثورة  
، فأنشئوا لجنة تحضيرية ثم انعقد مؤتمر انبثق عنه " الاتحاد العام للطلبة المسلمين  
الجزائريين " ، وكتبت جريدة البصائر عن أهداف الاتحاد ما يلي:

أولاً: تقريب الطلبة من بعضهم البعض ( في الجزائر، وفي المشرق، وفي المغرب،  
وفي فرنسا ) .

ثانياً: وضع توجيه عام لتسير عليه الجمعيات الطلابية الجزائرية، ومساندة بعضهم  
البعض في كل مكان .

(1) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام ، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي ، ج 3، ص 509.

(2) المصدر نفسه ، ص 510.

(3) المصدر نفسه ، ص 511.

ثالثاً: الاتحاد يفتح أبوابه للجميع شرط إيمان الطالب بفكرة " الجزائر وطن إسلامي العقيدة ، عربي الثقافة، شرقي الاتجاه " .

ولعل الهدف الغير معلن هو خدمة الثورة، وبالمناسبة فإن أول رئيس للاتحاد هو أحمد طالب بن الشيخ البشير الإبراهيمي<sup>(1)</sup> ، وتعرض الاتحاد إلى اضطهاد السلطات الفرنسية في فرنسا والجزائر<sup>(2)</sup> .

ولم تنس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كبار السن، واعتمدت في نشاطها الموجه لهذه الفئة على المسجد وذلك من خلال؛ الشعائر التعبدية والأنشطة العلمية والاجتماعية والسياسية، وذلك من أجل تعليم وتصحيح المعتقدات والأفكار، وتشجيعهم على إرسال أبنائهم للتعلم والمساهمة في بناء المدارس.

وهكذا ينشر العلم الصحيح في الأمة الجزائرية العربية المسلمة<sup>(3)</sup> ، سواء كان المتعلمُ طفلاً أو شاباً أو شيخاً.

ومن خلال ما سبق ذكره يمكن القول أن المتعلم كأحد المقومات الأساسية للمشروع التربوي للعلامة محمد البشير الإبراهيمي، لا تقتصر مرحلته العمرية على سن معين وإنما يبقى الإنسان مُتعلماً من المهد إلى اللحد، وهو ما عمل له من خلال جهوده الكبيرة وإخوانه في جمعية العلماء المسلمين؛ فالطفل يُربى على الإسلام والعربية والوطنية، والشباب يُوجه الوجهة الصحيحة، والشيخ تصحح معتقداته وأفكاره.

(1) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 10، ص 297 - 298 - 299.

(2) المرجع نفسه، ص 302.

(3) سمير أبيض: الجهود التربوية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في بناء المجتمع الجزائري ( 1931 - 1956 م ) ، ص 109.

## المبحث الثالث: المادة العلمية

تعتبر فترات التاريخ الإنساني التي شهدت تكاملاً بين العلوم الدينية والعقلية، هي الفترات المؤسسة للحضارات وازدهار العلوم وتطورها، والمسلم به أن الحضارة تقوم في بداياتها على أصول دينية وأنها تستمر بالعطاء الإيجابي ما بقيت مسترشدة بتعاليم الدين، وكان العرب المسلمون أكثر كمالاً في مجال العلوم النافعة<sup>(1)</sup>، لا لشيء سوى لأنهم اهتموا وفعّلوا تعاليم دينهم الإسلامي الداعية للعلم والأخذ بأسبابه في جميع الميادين وعلى رأسها التربوية.

والعلوم في الجزائر كقطعة من الأمة العربية الإسلامية نوعان: علوم الدين واللسان وتؤخذ باللغة العربية، وعلوم الأكوان وال عمران وتؤخذ باللغة الفرنسية، وقد كان الذين يشتغلون على العلوم الأولى في جمود تام، كما كان الذين يشتغلون على العلوم الثانية على تيه وضلال هكذا كانت حالة الحركة العلمية في الجزائر قبل مئة عام، إلى أن أنشئت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 1931 م<sup>(2)</sup>، وتولت الإهتمام والتركيز على جانب العلم ومحتواه الذي يقدم أي المادة العلمية.

حيث يرى العلامة محمد البشير الإبراهيمي أن المدارس الابتدائية التي أنشأتها جمعية العلماء في حاجة ماسة إلى الكتب المدرسية، وهي في عجز ظاهر عن استيراد الكميات اللازمة لها من مصر لأسباب وعراقيل كثيرة ولحل هذه المشكلة يقول: « ويسرنا من أبنائنا المعلمين في هذه المدارس أن يشاركونا في تخفيف هذا العبء، وفي سدّ جانب من هذا النقص، وأن يقوموا باستغلال تجاربهم الخاصة في التعليم وجهودهم المفيدة فيه، فيخرجوها كتباً مدرسية، بعد أن كانت تلقينا<sup>(3)</sup> »، فهذا ما تمناه الشيخ البشير الإبراهيمي من

(1) ماجد عرسان الكيلاني: الفكر التربوي عند ابن تيمية، ص 120.

(2) عبد الحميد بن باديس: آثار الإمام، ج 4، ص 116.

(3) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 2، ص 338.

المعلمين الأكفاء الذين تمت تجاربهم، وشارفت النضج مواهبهم، وهو ما حققه جزئياً الشيخين الطاهر بكاري مدير مدرسة " الصادقية بالعاصمة " ، و رفيقه المولود طياب، إذ ألفا كتاباً صغيراً وعنوانه بـ " نقرأ ونكتب " ، يقول الشيخ البشير الإبراهيمي عن هذه المحاولة « والكتاب محاولة أولى، نرجوا أن تكون مشجعة للمؤلفين ولإخوانهم المعلمين بمدارس جمعية العلماء على متابعة التأليف المدرسي، ومراعاة الإتقان فيه »<sup>(1)</sup> ، وطلب العلامة البشير الإبراهيمي من مديري المدارس الابتدائية أن يعتمده للأقسام الأولية<sup>(2)</sup> ، وهو يهدف من وراء ذلك إلى إحياء سُنَّة التأليف العلمي العربي والتي غابت عن الجزائر العربية المسلمة.

وانتشار مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين برُبوع الوطن، لدليل على انخراط وإقدام الجزائريين على التعليم العربي، وكانت جمعية العلماء طموحة إلى «إعادة اللغة العربية إلى سابق عهدها لغة علم وخطابة، هذا ما جعل التعليم باللغة العربية شرطاً للتعليم داخل مدارسها»<sup>(3)</sup> ، فأعضاء جمعية العلماء المسلمين « وفي إطار البعد الإصلاحي للمشروع التجديدي النهضوي، عملوا على إسترجاع حضور اللغة العربية ومكانتها سواء في التعليم أو التواصل »<sup>(4)</sup> ، أمام إهمال سلطات الإستعمار الفرنسي للغة العربية، رغم اعتراف دستور 1947 م بها<sup>(5)</sup>.

والعلامة محمد البشير الإبراهيمي حينما بدأ مهمته النبيلة أي التدريس يقول: « ولقد بدأت دروسي ومحاضراتي في تلمسان بالعربية الفصحى وأخذت نفسي بذلك أخذاً أصل فيه إلى درجة الاغراب أحياناً »<sup>(6)</sup> ، وكان هذا الالتزام يهدف إلى غرضين:

(1) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام ، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 2، ص 338.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) جميلة حيدرة: المناهج التربوية كواجهة ثقافية للمجتمع ، ص ص 172 - 173.

(4) المرجع نفسه ، ص 173.

(5) أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 10، ص 55.

(6) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام ، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 1، ص 149.

أولهما: التأكيد لتلامذته على أن اللغة العربية الفصحى ليست أقل شأنًا من اللغة الفرنسية فهي تستطيع التعبير عن الحقائق والخيالات والتصورات، يقول: « وقد بلغت من هذا الغرض ما أريد » (1).

ثانيهما: أن يحدث في نفوس العامة الذين يقدرون قيمة العلم أسفًا يقضّ مضاجعهم، ذلك ما يجعلهم يتداركون مع أبنائهم ما فاتهم (2).

تقسم مواد التعليم العربي الابتدائي في مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على ست سنوات متتالية، وهي المرحلة الأهم من عمر التلميذ الناشئ والتي تتوج حين نجاحه فيها بشهادة تسمى " شهادة التعليم العربي الابتدائي " ، فيصبح « صحيح التأدية للقراءة، طيّع اليد والقلم بالكتابة، محصلاً لمبادئ الدين الإسلامي علمًا وعملاً ولمبادئ التاريخ الإسلامي ... وأول تلك المبادئ السيرة النبوية ... ويحفظ ... أجزاء من القرآن ... ومبادئ التجويد دراية » (3)، هذا ما يفتح له في الحقيقة أفاق التوسع في هذه المواد وبلوغ الدرجات العليا فيها إن هو واصل طريق التعلم، وإن هو انقطع استطاع بمعونتها أن يبلغ ما شاء بالدراسة والمطالعة، لأنه " يقرأ قراءة صحيحة، ويفهم فهمًا صحيحًا " ، ومنه فهو يخرج برأس مال عظيم من دينه ولغته وتاريخه على الحاليين، وهذا ما يجعله عضوًا صالحًا في أمتة (4).

وإن نحن أردنا الحديث عن المادة الأبرز وهي القرآن الكريم، نقول أن العديد من الدراسات أثبتت بأنه لحفظته أثر واضح على تحصيل طلبة العلم الدراسي سواء التحصيل العام أو لبعض المواد، وهو أن هناك فروقًا واضحة بين نتائج الملتحقين بحلق تحفيظ القرآن

(1) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام ، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 1، ص 149.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام ، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 2، ص 109.

(4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

الكريم وغير الملتحقين، من حيث ارتفاع نسبة المتفوقين دراسياً عند الحفظة لكتاب الله، وفي هذا إشارة واضحة على أثر حفظ القرآن الكريم على التحصيل الدراسي للطالب<sup>(1)</sup>.

وسيرة خير خلق الله المصطفى صلى الله عليه وسلم كان فحواها الأخلاق، والذي يعيننا هنا من زاوية نظر التربية العربية الإسلامية هو « أن القيم والمثل العليا فطرة، تنشأ تلقائياً في داخل النفس، ... ولكن التوجيه - قبل ذلك وبعد ذلك - هو الذي يجعل تلك القيم المفردة تلقائياً تجد تربة صالحة فتستمر في نموها وتترعرع، أو لا تجد تلك التربة فتذبل وتموت ... أو تتخذ صورة منكسة »<sup>(2)</sup>؛ فالتربية والتوجيه الصحيح للابن هي ما يجعله مُتخلفاً، ومادة العلم في ذلك هي القرآن الكريم، سئلت عائشة رضي الله عنها، عن خلق رسول الله صلوات ربي وسلامه عليه فقالت: « كان خلقه القرآن »<sup>(3)</sup>، فماذا عن زمانا يتساءل الشيخ البشير الإبراهيمي، إذا كان عقلاء الأمم الراقية يشكون من فساد الأخلاق في أممهم فمن نحن وأين نكون؟ للإجابة على ذلك يمكن الاستئناس بقوله: « إذا أحسنا تسيير الجهود الفردية في التربية المنزلية، لأن لنا أساساً نبني عليه ولا يعسر جد العسر إحيائه وهو الأخلاق الإسلامية المتوارثة في الجملة والتي نجد معظمها في القرآن في أوضح عبارة وأوضح بيان، ثم الأخلاق العربية المأخوذة من آدابهم التي هي أنفس ما خلفوه لنا من التراث »<sup>(4)</sup>، فالشيخ الإبراهيمي يؤكد لنا على أهمية الرجوع في تربية أبنائنا الأخلاقية إلى المادة الأهم للعلم وهي القرآن الكريم بالإضافة إلى الأخلاق العربية بداية من المنزل.

(1) عماد بن سيف: أثر حلقات تحفيظ القرآن الكريم على التحصيل الدراسي والقيم الخلقية، ط 1، دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، 2014، ص ص 35 - 36.

(2) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، ج 2 (في التطبيق)، ط 3، دار الشروق، القاهرة - مصر، 1982، ص ص 201 - 202.

(3) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، ج 1 (في النظرية)، ص 181.

(4) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 1، ص ص 52 - 53.

هذا لا يعني أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم تعرف الأنشطة غير الصفية كالمسرح المدرسي مثلاً، « وفي استقبال جمعية العلماء للفرقة القومية المصرية التي زارت الجزائر سنة 1950 م، وحظيت بتكريم مدرساتها لدليل على طبيعة فكرها الإصلاحية القائم على التجديد والداعي إلى مواكبة العصر والتطور الدائم »<sup>(1)</sup>، فرسالة المسرح المدرسي تتمثل في نشر الثقافة وبعث الوعي لدى الناشئة، والفرقة المصرية كانت قد حلت في ضيافة " مدرسة الفلاح " بوهران والتي هي من المدارس النموذجية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكان مديرها الشيخ سعيد الزموشي، وركزت جمعية العلماء على عنصر الدين والانتماء للأمة العربية الإسلامية، « إذ قدمت مدرسة الفلاح مسرحيات تروي عن تاريخ الدعوة إلى الإسلام ... جامعة بين التربية والتنقيف والبعد الديني »<sup>(2)</sup> كما كانت المدارس تمارس نشاط الإنشاد؛ كمدرسة " دار الحديث " ، « هذا النشاط عوّد الطلبة على حفظ الأناشيد وترديدها، بل كان يحمل من المعاني التي تعود بالمنشد إلى أصله وتذكره بوطنه »<sup>(3)</sup> ، ولعل من أبرز الأناشيد التي ردها التلاميذ أبيات من شعر الإمام عبد الحميد بن باديس:

شعب الجزائر مسلم      وإلى العروبة ينتسب  
من قال حاد عن أصله      أو قال مات فقد كذب<sup>(4)</sup>

لما تزايد عدد التلاميذ المتخرجين من المدارس الابتدائية لجمعية العلماء، رأى العلامة البشير الإبراهيمي ضرورة الانتقال للمرحلة الثانوية في مدارس جمعية العلماء، فدعا هو وزملاءه الأمة الجزائرية للتعاون على تحقيق هذه الفكرة، واستقر نظره على مدينة قسنطينة فاشترتوا قطعة من الأرض لتكون مقراً لتجسيد هذا المعهد، وأخذ هو وزملاءه في الإعداد لهذا

(1) جميلة حيدرة: المناهج التربوية كواجهة ثقافية للمجتمع، ص 180.

(2) المرجع نفسه ، ص ص 180 - 181.

(3) المرجع نفسه ، ص 181.

(4) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

المعهد الثانوي والذي أطلق على تسميته " معهد عبد الحميد بن باديس " تخليداً لذكراه، وقد بلغ عدد طلبات الالتحاق بالمعهد سنة 1948 م للدراسة فيه 800 طلب، كما شهدت السنة الدراسية 1948 - 1949 م زيادة عدد المقبولين، وكذلك إنشاء السنة الرابعة وهي التي يتوج فيها الطلبة بالشهادة الأهلية<sup>(1)</sup>، لكن مساكن المعهد لا تكفي لاستقبال هذا العدد من التلاميذ ، ما يضطرهم إلى المبيت في الفنادق والحمامات على حسابهم الخاص، وهو ما جعل إدارة المعهد تخطو خطوة حاسمة في الموضوع « فأقدمت على شراء دار واسعة ذات ثلاث طبقات، تتسع لإسكان خمسمائة تلميذ، واقعة في مكان يجمع بين الجمال والصحة، ويأخذ حظه من الشمس والهواء من ثلاث جهات »<sup>(2)</sup>؛ هذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الشيخ البشير الإبراهيمي كان مهتماً أيضاً بصحة التلميذ الجسدية.

وكذلك بالنسبة للمدرسين الذين استقروا بجوار طلبتهم في المعهد حتى يباشروا الإشراف الخُلقي والعملي عليهم، « وقد اعترفت بشهادة هذا المعهد جامعات الشرق العربي وأصبح في وسع خريجه الالتحاق بكلية دار العلوم والجامع الأزهر بالقاهرة، وجامعة بغداد ودمشق ومعهد الكويت »<sup>(3)</sup>.

والمادة العلمية التي كان يعنى بها المعهد هي رفع المستوى العلمي لمادة الرياضيات وعلوم الحياة، والتشديد على الناحية الخلقية<sup>(4)</sup>، فالرياضيات والطبيعات تعتبران وسيلة لغايات سامية، والتلميذ كان محروماً منها لأن المعاهد العربية خالية منها، وكان الدكاترة والأساتذة يتطوعون بإلقاء دروس على الطلبة في المعهد؛ فقد تطوع الدكتور عبد القادر بن شريف بإلقاء دروس في حفظ الصحة، مدعماً ذلك بأشرطة سينمائية، فلقبت من الطلبة إقبالاً كبيراً، وتطوع الصيدلي الأستاذ علاوة عباس بإلقاء دروس في علم وظائف الأعضاء ولقبت

(1) نبيل أحمد بلاسي: الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، ص ص 124 - 125.

(2) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج 2، ص 447.

(3) نبيل أحمد بلاسي: الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، ص 125.

(4) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

كذلك مثل ذلك، وتطوّر الأستاذ محمد الجبلي وهو أستاذ في التعليم الثانوي الفرنسي بإلقاء دروس في الجغرافيا، وتطوّر الأستاذ محمد بن عبد الرحمن بإلقاء دروس في الحساب، هذه الدروس في الحقيقة أفادت الطلبة كثيرًا، وهي تعبر عن الدرجة العالية التي وصل إليها التعليم الجزائري يومئذ<sup>(1)</sup>؛ فجمعية العلماء المسلمين كانت تتطلق في المواد المبرمجة للتلاميذ من القيمة الاجتماعية لها وما تحويه من مضمون معرفي<sup>(2)</sup>.

وبالنسبة للمسجد فعندما يأخذ مكانه الطبيعي الذي يُبنى من أجله، وأراده الله له، يصبح من أعظم المؤثرات التربوية الاجتماعية<sup>(3)</sup>، يقول الشيخ البشير الإبراهيمي: « ونعني بالتعليم المسجدي ذلك التعليم الذي نلتزم فيه كتب معينة في العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وأصول وأخلاق، والعلوم اللسانية من قواعد ولغة وأدب، والعلوم الخادمة للدين من تاريخ وحساب وغيرهما، ويقوم بها مشائخ مقتدرون في تلك العلوم محسنون لتعليمها<sup>(4)</sup>، فتأمل الدرجة الراقية التي كان عليها المسجد في الجزائر تحت قيادة العلامة محمد البشير الإبراهيمي للأمة.

وعلامتنا وفيلسوفنا وأديبنا محمد البشير الإبراهيمي، يجسد بحق كلامه هذا الذي سنتطرق إليه من خلال قوله، ما بدأنا به حديثنا في هذا المبحث عن الحضارة ورجالها يقول: « وكلّ ما يستعمله الشعراء والكتّاب اليوم كلمات متداولة محدودة، لا تجاوز مجموعها خمسة عشر ألف كلمة، وهي بضاعة السوق، فإذا كانت كافيةً للاستهلاك اليومي الضروري، على لغة الاقتصاديين، فإنها لا تكفي للمطالب الكمالية والتحسينية في الأدب، والمواضيع تتجدّد، والمعاني تتوارد وتتشابه ثم تتمازج ثم تتمايز، فمن الواجب أن ننحت من هذا المعدن

(1) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج 3 و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 3، ص 256 - 257.

(2) جميلة حيدرة: المناهج التربوية كواجهة ثقافية للمجتمع، ص 174.

(3) عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص 109 - 110.

(4) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج 3 و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 2، ص 170.

القديم كل يوم جوهرة ونصقلها»<sup>(1)</sup>، السؤال المطروح هل نحن في مستوى ما يتحدث عنه العلامة محمد البشير الإبراهيمي، ثم ماذا أصاب علماء الأمة العربية الإسلامية بعد لسان العرب لابن منظور مثلاً ؟ !

ومما سبق ذكره يمكن القول أن المادة العلمية تعتبر أحد المقومات الرئيسية في المشروع التربوي للشيخ محمد البشير الإبراهيمي، والذي أعطى لها عناية كبيرة باعتبارها ما يقدم للمتعلم من أفكار ومفاهيم، فيوجهه الوجهة الصحيحة أو يصحح أفكاره ومعتقداته، وشرطها هو أن تكون مسايرة لروح العلم والعصر، متشربة من تعاليم ديننا الإسلامي الحنيف.

(1) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 4، ص 160.

## المبحث الرابع : طريقة التعليم

عمل القائمون على الشأن التربوي والتعليمي كل ما في وسعهم من جهود عبر التاريخ ، وذلك من أجل إيجاد أفضل الطرق التعليمية والأساليب التربوية المستجيبة لتطلعات وغايات ومرامي المجتمع<sup>(1)</sup>، باعتبار أن المنظومة التربوية بصفة عامة، والفكر التربوي بصفة خاصة كجزء منها، هذا الأخير إنما هو في الحقيقة جزء من نظام أكبر وهو المجتمع ، وبالتالي سوف يتأثر ويتفاعل مع مختلف المتغيرات الحاصلة على المستوى الاجتماعي<sup>(2)</sup> ، وهذا ما تفتنت إليه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعملت على أساسه لخلق طريقة تعليمية\* تستجيب لروح العصر.

والتخطيط الدقيق للتدريس يعطي فرص كثيرة للتفكير في اختيار أفضل الطرق وأنجعها، والتي يمكن توظيفها للوصول بالمتعلمين إلى نتائج معينة، وذلك باستثمار مختلف القدرات والطاقات والإمكانات المتاحة<sup>(3)</sup>.

وإذا كان بعض المنبهرين بما يفد إلى البلاد العربية الإسلامية من سموم من بلاد الغرب بصفة عامة ومن الإستعمار الفرنسي بصفة خاصة، في نقل مفاهيم للمتعلمين دون تمحيص ودراية فإن الشيخ الإبراهيمي يدعو إلى قاعدة المخالفة والمعاكسة لكل ما يقوم به المستعمر، ويرى بأنه إذا أراد المعلم مثلاً الإصلاح فعليه بمعرفة الطريقة المثلى لخدمة أمته ، فينظر إلى الاستعمار ويعرف الطرق التي يسلكها في إماتة أمته فيسلك هو ضدها، ويدرس

(1) الدراجي زروخي: الأبعاد الفلسفية للنظام التربوي عند جمعية العلماء المسلمين، ص 57.

(2) سعيد اسماعيل علي: الفكر التربوي العربي الحديث، ص 9.

\* طريقة تعليمية: وسيلة أو خطة يرسمها المعلم قبل البداية في التدريس ثم يطبقها على الصف ، ونجاح المعلم في أداء رسالته النبيلة مرهون بحسن اختياره لطريقة التدريس . (أنظر: فريدة شنان ومصطفى هجرسي: المعجم التربوي ، ت وت: عثمان آيت مهدي، ص ص 87 - 88).

(3) محمود أحمد شوق: الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية، (د ط)، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001، ص ص 24 - 25.

الوسائل التي استعبد به أمته فيستخرج منها وسائل لتحريرها (1).

وتربية الفكر في مشروع العلامة محمد البشير الإبراهيمي أهم من كثرة المعلومات المقدمة للمتعلم، فنظرته للتعليم تصبو إلى تحديد ما ينبغي أن يتجه إليه الجهد المدرسي، لذلك رأى بأن الأثر الجيد والصحيح الذي تحدثه المعلومات المقدمة للمتعلمين في ذهنياتهم أهم من كثرة المعلومات التي تُحشى بها (2)، يقول الشيخ البشير الإبراهيمي: « كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس في اجتماعنا بالمدينة في تربية النشء هي: ألا نتوسع له في العلم، وإنما نربيه على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل، فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعددناه من تلامذتنا » (3)؛ المستفاد من هذا أن الشيخ البشير الإبراهيمي لا ينقص من دور وأهمية المادة العلمية، وإنما يعتبرها وسيلة لبناء شخصية المتعلم، لا ترقى إلى الغاية التي يريد بلوغها من التعليم إذا تم النظر إليها على أنها غاية في حد ذاتها.

والعلامة محمد البشير الإبراهيمي يوجه اهتمام المعلمين على أن يكون تركيزهم على الجانب الكيفي في تقديمهم للمعرفة، ودراسة المسائل التي تقدم للمتعلمين، فتحقيق الغاية المرجوة من المعرفة متوقف على طريقة تناولها، وكذلك اختيار نوع المعرفة المبرمجة، والكم الذي يتلاءم مع الوعاء الزمني، « لذا يجعل الشيخ البشير الإبراهيمي الغاية من الدرس إنماء الفكر وتربية ملكة التحليل والتدريب على الاستنباط وبناء الأمور على أسبابها والنتائج على مقدماتها » (4)؛ فهذه النظرة التربوية من العلامة محمد البشير الإبراهيمي إنما تشكل توجهها

(1) أسعد السحمراني: الشباب في فكر الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ( جريدة البصائر، العدد 244، الجزائر، 06 - 13 جمادى الأولى 1426 هـ الموافق لـ : 13 - 20 جوان 2005 )، ص 10.

(2) عبد القادر فضيل: التربية في منظور الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ( جريدة البصائر، العدد 252، الجزائر، 01 - 08 شعبان 1426 هـ الموافق لـ : 05 - 12 سبتمبر 2005 )، ص 11.

(3) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج 5، ص 280.

(4) عبد القادر فضيل: التربية في منظور الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص 11.

فلسفياً تربوياً راقياً.

عملت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ولا سيما العلامة محمد البشير الإبراهيمي على تأسيس المدارس، حتى لا يدع التعليم يتبع ذلك الدرب المشؤوم وهو تكرار التقاليد التي مضى عليها ألف عام، وتوجيهها نحو الواقع والمستقبل في ضوء القرآن الكريم الذي يدعو للتفكير وإعمال العقل<sup>(1)</sup>، وكانت عمليات تتم في أماكن مختلفة من مساجد ونوادي ومدارس، وقد بحث علماء الجمعية عن طرق خاصة لإصلاح التعليم طبقاً للمكان الذي يعطى فيه العلم، وانتقدوا النظام القديم على أنه عقيم وغير عملي، لذلك ففي تعليم القرآن والسنة في المساجد اتبعوا طريقة "السلف الصالح"، « وكانوا يدعون إلى تناول عملي ومتحرر في تفسير هذين المصدرين الإسلاميين »<sup>(2)</sup>، أما في المدارس فقد عمل علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مثلاً على تطبيق « طريقة سهلة وحديثة في تعليم العربية، فقد حاولوا أن يُطهروا اللغة من الدخيل والاستعمالات الهجينة، كما كانوا يعلمون القرآن في هذه المدارس، ولكن بتفسير حديث »<sup>(3)</sup>، وأما في النوادي فقد كان - علماء جمعية العلماء المسلمين - يعلمون أفضل الطرق في البحث والقراءة للأدب والتاريخ<sup>(4)</sup>.

يرى الشيخ البشير الإبراهيمي أنه دخلت علينا الكثير من الخرافات والآراء المضطربة والأحاديث الموضوعية وكبائر الغلو، حتى أصبحت كلها علمًا، وفي الحقيقة عدوى " نزعة التسليم " انتقلت إلينا عن طريق مشائخ الطريقة<sup>(5)</sup>، ففتكت بعقول المعلمين والمتعلمين، ومن أثارها السيئة هذا التراجع في استخدام ملكاتنا العلمية، وإذا تبادى هذا الحال تحول إلى موت

(1) روجيه غارودي: الإسلام، ت: وجيه أسعد، ط 2، دار الفارابي، بيروت - لبنان، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر، 2001، ص 140.

(2) أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية ( 1900 - 1930 م )، ج 2، ط 4، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1992، ص 400.

(3) المرجع نفسه، ص ص 400 - 401.

(4) المرجع نفسه، ص 401.

(5) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج و ت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 1، ص 147.

وعدم، لذلك يرى عكس هذا يقول: « فالغزّة اللامعة في جبين هذه النهضة العلمية، هي اقتزان العلم بدليله، فأصبح علماءنا يعملون بالدليل، ويدعون إلى الدليل ويطالبون بالدليل، ويحكمون بالدليل ولو في أنفسهم »<sup>(1)</sup>، وأسراء المألوف وأحلاف الجمود في الحقيقة لا يفرّقون بين الاستدلال والاجتهاد، ولكنهم وسما نزعة الاستدلال على أنها دعوى اجتهاد ودعوى إليه، واتخذوها ذريعة « لصرف الأغرار من الطلبة عنها، وتحريك العامة عليها بما يهرولون عليهم من أمر الاجتهاد ويعظمون من حرمانه »<sup>(2)</sup>، يقول الشيخ البشير الإبراهيمي ردًا عليهم: « وما بالهم ... لا يفرّقون بين الاستدلال والاجتهاد، ولو أنصفوا لعلموا أننا دعاء نظر لا دعاء اجتهاد، ندعو إلى العلم التطبيقي العملي ونأخذ به أنفسنا قبل كل أحد، وأن تطبيق الجزئيات على الكليات ليس من الاجتهاد في شيء، وإنما هو روح العلم ولا علم بدونه »<sup>(3)</sup>؛ نستنتج من هذا أن العلامة محمد البشير الإبراهيمي يريد ويجتهد على تطبيق طرائق العلم الصحيحة ومنها الاستدلال في التفكير، للوصول إلى نتائج دقيقة خلافاً لنظرة الجمود للطريقة.

ومن بين العناصر البارزة في تفكير الشيخ البشير الإبراهيمي والمحددة لمنهجه في طرح قضايا التربية، هي نظرتة لقضايا التعليم نظرة شاملة ومتكاملة، « فالتعليم عنده وسيلة، والتربية غاية، والغاية تسبق الوسيلة عند بناء الخطة ولكن لا بد منهما معا »<sup>(4)</sup>، ويبرز هذا جلياً من خلال بيان الطريقة البيداغوجية التي تستخدم لإيصال المعلومات للمتعلمين، فالمعلم يجب أن « يتجاوز تلقين المعرفة إلى ممارسة الفعل التربوي الذي يتجه إلى تربية العقل وتركية الروح وتهذيب الأخلاق »<sup>(5)</sup>؛ وتبرز نظرتة الشاملة كذلك في تحديد عناصر المنهاج

(1) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج 1، ص 148.

(2) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(3) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

(4) عبد القادر فضيل: التربية في منظور الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص 11.

(5) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الدراسي\* المخصص لكل مستوى من مستويات صفوف المتعلمين<sup>(1)</sup>، ويشمل المنهاج التربوي « كل نشاط تنظمه المدرسة ليمارسه التلميذ وليكتسب عن طريقه المعلومات والمهارات والاتجاهات، وليصبح... مختلفا عما كان عليه في أول العملية التعليمية »<sup>(2)</sup>.

وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين والشيخ البشير الإبراهيمي بالخصوص يسعى دائماً للعمل في إطار منظم يقيّم من خلاله المنجز ويسد النقائص، لذلك فمن الوسائل التي اتخذتها جمعية العلماء لبلوغ غايتها من الإصلاح العلمي هي؛ السعي لعقد مؤتمر سنوي بالعاصمة العلمية قسنطينة يحضره جميع القائمين على التعليم من أعضائها، وذلك بهدف تبادل الآراء والأفكار وأقوم الطرائق والأساليب، وكذلك عكاظ علمي سنوي في الجزائر العاصمة، تتجاوز أيامه أسبوع وتُلقى فيه محاضرات للتمرّن على الخطابة في مواضيع الدعوة والإرشاد<sup>(3)</sup>.

أما فرنسا الاستدمارية فإنها عملت على رسم صورة قاتمة للتعليم في الجزائر، وانعكس ذلك من خلال نوعية التعليم الذي فرضته على السواد الأعظم من الجزائريين، إنه تعليم مزدوج في ظاهره ولكنه متعفن في واقعه ووسائله فهو هيكلي بدون روح، لا يُنشِط عقلاً لإنتاج فكر، غرضه مقصود ومعلوم جاء متوافقاً ومتكاملاً في سياق صراع عقائدي وحضاري؛ بين الحضارة الغربية النصرانية والحضارة العربية الإسلامية<sup>(4)</sup>.

حيث جاء ذلك في صورة رد فعل عنيف، قامت به فرنسا الاستدمارية لعرقلة جهود وأعمال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلى رأسهم العلامة محمد البشير الإبراهيمي،

\* المنهاج الدراسي: هو تتابع جملة الخبرات المخطط لها والممكن الوصول إليها، والتي توفرها المدرسة. ( أنظر: فريدة شنان ومصطفى هجرسي: المعجم التربوي، ت وت: عثمان آيت مهدي )، ص 39.

(1) عبد القادر فضيل: التربية في منظور الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ص 11.

(2) جميلة حيدرة: المناهج التربوية كواجهة ثقافية للمجتمع، ص 171.

(3) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج وت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 1، ص 145.

(4) علي زكي: فلسفة التعليم عند الشيخ الإبراهيمي، ص 327.

حين رأت انتشار مدارس جمعية العلماء في جهات مختلفة من الجزائر، وحين أمّها أبناء الجزائر بالآلاف، وهكذا أنشأت عدة مدارس لتسع أبناء الجزائريين وتشغلهم بتعليمها عن تعليم جمعية العلماء، وتعليمها - فرنسا الاستدمارية - « تعليم يفتح للناس بعض النوافذ ولكنه يمنعهم من ولوج الأبواب ... إنه سراب يخدع الضامي ولا يرويه »<sup>(1)</sup>، وسبب تكالبها على برامج جمعية العلماء لأنها تقضّ مضجعها وتفسد تخيلاتها<sup>(2)</sup>.

والتربية التي تتطلع للمستقبل تحطّم العبادة الصنمية للحاضر، تلك التي لا تقبل النقد للتربية القائمة وتجعل منها نشاطاً مُتبعاً وتابعاً، ومنه وجب أن يخضع الحاضر للنقد والتحليل، ليدل على ما ينبغي أن يكون عليه الشأن التربوي، من هنا ندرك أن « الفلسفة التربوية العربية كما نرجوها هي تلك القادرة على بث الحياة في المجتمع في حدود ما تقوى عليه التربية، وعلى تفجير القوى الديناميكية المتحركة، وعلى بعث " وثبة الحياة " »<sup>(3)</sup>.

وصحيح أن تكوين مجتمع عربي إسلامي هو الهدف الأسمى الذي تتطلع إليه الأمة العربية الإسلامية، ولكنه في الوقت عينه هو الأداة الموصلة إلى تثبيت المفاهيم الإسلامية الصحيحة في نفوس الأفراد وتنشئتهم عليها منذ نعومة أظافرهم حتى يكونوا صدىً ذاتياً للتفاعل معها وينهلون من معينها، لكن يمكن أن تكون هذه الجهود عرضة للضياع حينما يكون في المجتمع من يعادي الفكرة ويعمل على تحطيمها<sup>(4)</sup>، يقول محمد الغزالي رحمه الله : « وأشعر اليوم بشيء من الأسى واليأس لأننا لا نجتمع من عناصر التربية ما يجعل أمتنا تنبت في مغارسها، وتجدي على رسالتها ... ذاك في وقت تعربد فيه شياطين الإنس والجن

(1) علي زكي: فلسفة التعليم عند الشيخ الإبراهيمي، ص 328.

(2) المرجع نفسه، ص 329.

(3) عبد الله عبد الدائم: نحو فلسفة تربوية عربية، ص 69 ، 319.

(4) محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، ج 1 ( في النظرية )، ص 216.

ويكاد الهوى ينفرد بزمام العالم أجمع»<sup>(1)</sup>؛ فالشيخ محمد الغزالي هنا ينقد التيار التغريبي الذي جعل الأمة تتراجع إلى الوراء بدل التطلع للمستقبل.

والعلامة محمد البشير الإبراهيمي من بُناة المدرسة العربية الحديثة، ومن أوائل الداعين إليها والقائدين لمسارها، يتساءل ماهي الغاية من المدرسة العربية الحديثة؟ يقول مجيباً على ذلك: « الغاية من هذه المدرسة هي تربية هذا الجيل وتعليمه، وغاية الغايات من التربية هي توحيدُ النشء الجديد في أفكاره ومشاربه، وضبط نوازعه المضطربة، وتصحيح نظراته إلى الحياة، ونقله من ذلك المضطرب الفكري الضيق الذي وضعه فيه مجتمعه، إلى مضطربٍ أوسع منه دائرة، وأرحب أفقاً، وأصحّ أساساً»<sup>(2)</sup>؛ المستفاد من هذا أن الشيخ محمد البشير الإبراهيمي يريد أن ينتشل النشء من مجتمع مُضطرب وجعله لبنة صحيحة في مجتمع صالح يأمل الوصول إليه.

فالطريقة التي تصبو للوصول إلى قدرات المتعلم لاستخدامها في معرفته، والتي تركز على الفهم والاستيعاب والذاكرة، أكثر من تركيزها على الحشو؛ هي في الحقيقة ما دعت إليها أغلب طرق التدريس الحديثة والتي نادت بتجاوز طرق التلقين والحشو<sup>(3)</sup>.

ومما سبق ذكره يمكن القول أن طريقة التعليم التي اعتمدها العلامة محمد البشير الإبراهيمي في مشروعه التربوي، طريقة جديدة تقوم على الفهم واستثارة قدرات المتعلم وليس الحشو، جاءت على أنقاض طرق قديمة لا ترقى لمتطلبات العصر والتي كانت مُطبقة في الجزائر عند بعض الطرقية التي مارست التعليم وفي بعض العالم العربي الإسلامي والتي تعتمد على التلقين والحشو.

(1) محمد الغزالي: تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، ط 5، دار الشروق، القاهرة، 2003، ص 96.

(2) محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج 3، ج 3، ص 275.

(3) جميلة حيدرة: المناهج التربوية كواجهة ثقافية للمجتمع، ص 180.

خاتمة

بعد محاولتي لدراسة الفكر التربوي عند العلامة محمد البشير الإبراهيمي يمكن استخلاص ما يلي:

- التربية هي ركن أساسي في بناء المجتمعات والحضارات الإنسانية واستمراريتها، وهذا ما تظن له المفكرون المنظرون للشأن التربوي والقائمون عليه عبر الأزمان، ولنا في السياق العربي الإسلامي من المفكرين والفلاسفة من أفنوا أعمارهم في سبيل ذلك، وعلامتنا محمد البشير الإبراهيمي الذي كتب اسمه بأحرف من ذهب ضمن ذلك الخط الحضاري؛ المنطلق إشعاعه من قدوتنا محمد صلوات ربي وسلامه عليه، ومن نهج نهجه من بعده.

- العلامة محمد البشير الإبراهيمي اعتبر أن بناء إنسان قويم صالح لمجتمعه وأمته، يلزم علينا العمل على العودة إلى تلك المنابع الصافية؛ فننتشرب منها ونجعلها انطلاقة لشق دروب جديدة في التربية والتعليم الجزائري بصفة خاصة والتربية والتعليم العربي الإسلامي بصفة عامة، وهذا ما تكفل بميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي يمكن اعتبارها كشمعة أوقدتها ثلة مُباركة من العلماء المُخلصين لأمتهم العربية الإسلامية ووطنهم الجزائري، والعلامة محمد البشير الإبراهيمي بمعية هؤلاء حاول جاهداً إنارة قلوب وعقول الجزائريين بالتربية والتعليم، التي خيم عليها ليل الاستعمار الطرقي والفرنسي.

- ككل مفكر وفيلسوف يسعى لأن تُطبّق أفكاره على أرض الواقع؛ لم يقتنع العلامة محمد البشير الإبراهيمي بتلك الأفكار المُميتة والمُخدرة للعقول والضمائر، ولا بتلك الأفكار المُنبهرة بكل ما يفد من الغرب الأوروبي، بل آمن العلامة محمد البشير الإبراهيمي بأن المفكر والفيلسوف العربي المسلم، لابد من أن ينطلق من راهنه وواقعه ويحلله ثم يقدم حلولاً تتواءم مع مزاج أمته العربية الإسلامية

وتطلعاتها نحو المستقبل، فنار العلامة محمد البشير الإبراهيمي على الطريقة التي عبثت بالدين الإسلامي بتراهاتها، وعمل على انتشال الإنسان الجزائري من قبضة هؤلاء المبطلين وذلك بتربيته وتعليمه، عقيدة وشريعة دينه الصحيحتين بالقرآن والسنة الشريفة، كما عمل على تقويم لسانه وتفكيره بما وهبه الله من نعمائه من لغة عربية فصيحة؛ وذلك باطلاعه العميق على الدرر النفيسة في التراث العربي، وعمل على ترسيخ مفهوم لوطنية صادقة مخصصة لإنسان جزائري يكون نافعا لوطنه وأمته.

- المشروع التربوي للعلامة محمد البشير الإبراهيمي مشروع متكامل متناسق لبناء مجتمع أفضل؛ ابتداءً فيه بفتح المدارس النموذجية على مستوى مناطق الوطن الجزائري، وقبل ذلك المعلم الذي اهتم به كثيرًا، حيث جعل له مجموعة من المبادئ والقيم والسلوكات ونصحه للانقياد بها للنجاح في مهمته النبيلة، والمتعلم الذي رسم له معالم الطريق للنجاح في حياته الدنيا والآخرة، ولم يغفل العلامة البشير الإبراهيمي عن المادة العلمية المقدمة للمتعلم فعمل على انتقائها، وأختار أحسن الطرق والأساليب في تربيته وتعليمه، كما عمل على إعادة المكانة المحورية للمسجد كمكان ليس فقط للتعبد بل كذلك للتربية والتعليم لكبار السن ومختلف الفئات العمرية، وركز العلامة البشير الإبراهيمي على الشباب باعتباره الحلقة الأبرز في المجتمع فهم مستقبلها، لذلك عمل كل ما بوسعه لتوجيهه الوجهة الصحيحة في خدمة وطنه وأمته العربية الإسلامية، فتمثله بأسمى ما جاشت به الخواطر.

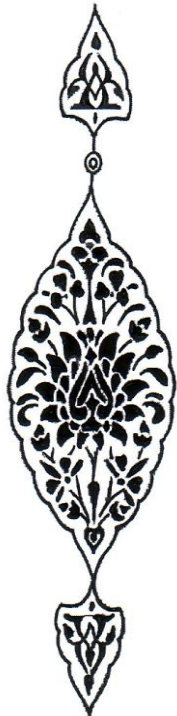
- المشروع التربوي للعلامة محمد البشير الإبراهيمي مُتجدد؛ أي بمعنى منفتح على كل جديد، شريطة استيعابه وفهمه وتكييفه مع ما تطلع إليه علامتنا محمد البشير الإبراهيمي من غايات ومرامي، وأتضح لنا ذلك من خلال مجهوداته الكبيرة في تحسيناته التي يدخلها في كل مرة على التربية والتعليم دون المساس بالثوابت،

فليت العقول المُفكرة والقائمين على الشأن التربوي في الجزائر والوطن العربي الإسلامي، يلتفتوا لهذا المشروع التربوي القيم، والسؤال المطروح: متى سيتحقق ذلك؟

وبعملي هذا المتواضع في التعريف بالفكر التربوي عند العلامة محمد البشير الإبراهيمي أتمنى أنني وفقت ولو بزاد معرفي قليل في ذلك، وأعتذر للقارئ الكريم عن كل فكرة قد أكون أخطأت فيها.

قائمة المصادر

والمراجع



## قائمة المصادر والمراجع:

### أولاً- المصادر:

أ: القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

ب:

1. محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج وت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1997.
2. محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج وت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1997.
3. محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج وت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1997.
4. محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج وت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 4، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1997.
5. محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام، ج وت: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 5، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1997.

### ثانياً- المراجع:

1. أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930م)، ج 2، ط 4، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1992.
2. أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3، ط 4، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، 1992.
3. أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 10، (د ط)، دار البصائر، الجزائر، 2007.

4. أبي حامد الغزالي: ميزان العمل، ت: سليمان دنيا، ط 1، دار المعارف، مصر، 1964.
5. أبي حامد الغزالي: إحياء علوم الدين (كتاب العلم)، ط 1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 2005.
6. أبي حامد الغزالي: إحياء علوم الدين (كتاب رياضة النفس)، ط 1، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 2005.
7. أبي حامد الغزالي: أيها الولد المحب، ت: أبو سهل نجاح عوض صيام، (د ط)، دار المقطم للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، 2010.
8. أبي حامد الغزالي: المنقذ من الضلال، ط 1، دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدة، 2013.
9. أبي حامد الغزالي: مجموعة رسائل الإمام الغزالي، ت: إبراهيم أمين محمد، (د ط)، المكتبة التوفيقية، القاهرة - مصر، (د ت).
10. أحمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام، (د ط)، دار المعارف، مصر، 1968.
11. أحمد فؤاد الأهواني: جون ديوي، ط 3، دار المعارف، القاهرة، 1987.
12. أحمد فؤاد الأهواني: في عالم الفلسفة اليونانية، (د ط)، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2009.
13. أفلاطون: المحاورات الكاملة، ت: شوقي داود تمارز، مج 1 الجمهورية (الكتاب الرابع)، (د ط)، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1994.
14. إبراهيم مدكور: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء، ضمن كتاب جماعي: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، ط 2، دار الأمة، الجزائر، 2012.
15. بن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ت وت: ناصر بن الكريم العقل، ج 1، دار اشبيليا للنشر والتوزيع، ط 2، الرياض - المملكة العربية السعودية، 1998.

16. برتراند راسل: تاريخ الفلسفة الغربية، ت: محمد فتحي الشنيطي، الكتاب الثالث (الفلسفة الحديثة)، (د ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1977.
17. تركي رايح عمامرة: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية (1931-1956) ورؤساؤها الثلاثة، ط 1، المؤسسة الوطنية وحدة الرعاية موفم للنشر، الجزائر، 2004.
18. جان جاك روسو: إميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، ت: نظمي لوقا، (د ط)، الشركة العربية للطباعة والنشر، (د ت).
19. جون ديوي: المدرسة والمجتمع، ت: أحمد حسن الرحيم، ط 2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، 1978.
20. الحافظ ابن عبد البر: صحيح جامع بيان العلم وفضله، أعده وأختصره وهذبه: أبو الأشبال الزهيري، ط 1، الناشر مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1996.
21. الدراجي زروخي: ابن تيمية كما يجب أن يفهم، ط 1، دار صبحي للطباعة والنشر، متليلي غارداية - الجزائر، 2013.
22. الدراجي زروخي: الأبعاد الفلسفية للنظام التربوي عند جمعية العلماء المسلمين، ط 1، دار صبحي للطباعة والنشر، متليلي غارداية - الجزائر، 2015.
23. روبرت ووكلر: روسو مقدمة قصيرة جدا، ت: أحمد محمد الروبي، ط 1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة - مصر، 2015.
24. روجي غارودي: الإسلام، ت: وجيه أسعد، ط 2، دار الفارابي، بيروت - لبنان، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر، 2001.
25. زكي نجيب محمود: قصة الفلسفة الحديثة، (د ط)، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1936.
26. زكي نجيب محمود: حياة الفكر في العالم الجديد، ط 2، دار الشروق، بيروت - القاهرة، 1982.

27. الزواوي بغورة: الخطاب الفكري في الجزائر، (د ط)، دار القصة للنشر، حيدرة - الجزائر، 2003.
28. سعيد اسماعيل علي: الفكر التربوي العربي الحديث، (د ط)، عالم المعرفة، الكويت، (د ت).
29. شكري فيصل: قضايا الفكر في آثار الإبراهيمي، ضمن كتب جماعي: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، ط 2، دار الأمة، الجزائر، 2012.
30. عباس محجوب: أصول الفكر التربوي في الإسلام، (د ط)، دار كثير، دمشق - بيروت، مؤسسة علوم القرآن، عجمان، (د ت).
31. عبد الحميد بن باديس: آثار الإمام، ج 1، (د ط)، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
32. عبد الحميد بن باديس: آثار الإمام، ج 2، (د ط)، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
33. عبد الحميد بن باديس: آثار الإمام، ج 4، (د ط)، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
34. عبد الحميد بن باديس: آثار الإمام، ج 5، (د ط)، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
35. عبد الرحمان بن خلدون: المقدمة، (د ط)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 2007.
36. عبد الرحمان الجيلالي: أسطر حول نشاط الشيخ البشير الإبراهيمي، ضمن كتاب جماعي: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، ط 2، دار الأمة، الجزائر، 2012.
37. عبد الرحمان النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ط 28، دار الفكر، دمشق، 2010.
38. عبد الله عبد الدايم: نحو فلسفة تربوية عربية، ط 2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، 2000.
39. عبد الهادي محمد والي: تاريخ التفكير الاجتماعي، (د ط)، الناشر جامعة طنطا، مصر، 2006.

40. العربي بلقاسم فرحاتي: ما التربية؟، (د ط)، منشورات الوطن اليوم، العظمة سطيف - الجزائر، 2018.
41. علي أحمد مدكور: مناهج التربية وأسسها وتطبيقاتها، (د ط)، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001.
42. علي زيكي: فلسفة التعليم عند الشيخ البشير الإبراهيمي، ضمن كتاب جماعي: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، ط 2، دار الأمة، الجزائر، 2012.
43. علي جريشة: نحو نظرية للتربية الإسلامية، ط 1، دار التضامن للطباعة، القاهرة، 1986.
44. عماد بن سيف: أثر حلقات تحفيظ القرآن الكريم على التحصيل الدراسي والقيم الخلقية، ط 1، دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، 2014.
45. ماجد عرسان الكيلاني: تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية، ط 2، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، دار التراث، المدينة المنورة، 1985.
46. ماجد عرسان الكيلاني: الفكر التربوي عند ابن تيمية، ط 2، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، 1986.
47. مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، ت: عبد الصبور شاهين، ط 4، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، 1984.
48. مالك بن نبي: شروط النهضة، ت: عبد الصبور شاهين، ط 2، دار الفكر، سورية - دمشق، 1986.
49. مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ت: عبد الصبور شاهين، ج 1 (شبكة العلاقات الاجتماعية)، ط 3، دار الفكر، دمشق - سوريا، 1986.
50. مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية، ت: عبد الصبور شاهين، ط 4، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، 1987.

51. مالك بن نبي: القضايا الكبرى، إشراف ندوة مالك بن نبي، ط 2، دار الفكر، دمشق - سوريا، 2002.
52. مالك بن نبي: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ت: بسام بركة وأحمد شعبو، ط 2، دار الفكر، دمشق - سوريا، 2002.
53. مالك بن نبي: من أجل التغيير، ط 4، دار الفكر المعاصر، بيروت - لبنان، 2005.
54. محمد بن سميئة: صفحات من إسهامات جمعية العلماء المسلمين في النهضة الحديثة، (د ط)، دار مدني، الجزائر، 2004.
55. محمد جلوب الفرحان: الخطاب الفلسفي التربوي الغربي، ط 1، الشركة العالمية للكتاب، بيروت - لبنان، (د س).
56. محمد عابد الجابري: فكر ابن خلدون العصبية والدولة، ط 6، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت - لبنان، 1994.
57. محمد عبد الرحمان مرحبا: مع الفلسفة اليونانية، ط 3، منشورات عويدات، بيروت - باريس، 1998.
58. محمد عبد الله عنان: ابن خلدون حياته وتراثه الفكري، ط 1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1933.
59. محمد الدراجي: الإمام عبد الحميد بن باديس السلفية والتجديد، ط 1، دار قرطبة، المحمدية - الجزائر، 2007.
60. محمد الصالح الصديق: يفنى الرجال وتبقى الأعمال، ضمن كتاب جماعي: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، ط 2، دار الأمة، الجزائر، 2012.
61. محمد عمارة: الإسلام والعروبة، ط 1، دار الشروق، القاهرة، القاهرة - بيروت، 1988.

62. محمد عمارة: هل الإسلام هو الحل؟ لماذا وكيف؟، ط 2، دار الشروق، القاهرة - بيروت، 1998.
63. محمد عمارة: الشيخ البشير الإبراهيمي إمام في مدرسة الأئمة، (د ط)، دار السلام، القاهرة - مصر، (د ت).
64. محمد الغزالي: تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، ط 5، دار الشروق، القاهرة، 2003.
65. محمد الغزالي: الإسلام والطاقات المعطلة، ط 27، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2005.
66. محمد فاضل الجمالي: الإبراهيمي ورسائله التربوية، ضمن كتاب جماعي: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، ط 2، دار الأمة، الجزائر، 2012.
67. محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، ج 1 (في النظرية)، ط 14، دار الشروق، القاهرة - بيروت، 1993.
68. محمد قطب: منهج التربية الإسلامية، ج 2 (في التطبيق)، ط 3، دار الشروق، القاهرة - مصر، 1982.
69. محمود أحمد شوق: الاتجاهات الحديثة في تخطيط المناهج الدراسية، (د ط)، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001.
70. مصطفى النشار: مدخل جديد إلى الفلسفة، ط 1، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998.
71. محي الدين صابر: محمد البشير الإبراهيمي والدعوة القومية، ضمن كتاب جماعي: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، ط 2، دار الأمة، الجزائر، 2012.
72. نبيل أحمد بلاسي: الاتجاه العربي والإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، (د ط)، دار الكتب، مصر، 1990.

73. نور الدين أبو لحية: جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية، ط 2، دار الأنوار للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016.
74. هاشم بن علي بن أحمد الأهدل: أصول التربية الحضارية في الإسلام، ط 1، الناشر مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض - السعودية، 2007.
75. ولتر ستيس: تاريخ الفلسفة اليونانية، ت: مجاهد عبد المنعم مجاهد، ط 2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1953.
76. ول وايرل ديورانت: قصة الحضارة، ت: محمد بدران، ج 7 (حياة اليونان)، (د ط)، دار الجيل، بيروت - لبنان، (د ت).
77. وليم كلي رايت: تاريخ الفلسفة الحديثة، ت: محمود سيد أحمد، ط 1، التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 2010.
78. يوحنا قمير: فلاسفة العرب ابن خلدون (مقدمة ابن خلدون دراسة - مختارات)، ط 3، منشورات المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1966.
79. يوحنا قمير: فلاسفة العرب الغزالي (دراسة - مختارات)، ج 2، ط 3، منشورات المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1966.
80. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، (د ط)، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، 1936.
81. يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، (د ط)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة - مصر، 2012.
- ثالثا- الموسوعات والمعاجم والقواميس:**
1. أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، ت: خليل أحمد خليل، مج 1، ط 2، منشورات عويدات، بيروت - باريس، 2001.
2. عبد الرحمان بدوي: موسوعة الفلسفة، ج 1، ط 1، المؤسسات العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1984.

3. ابن منظور: لسان العرب، ج: عبد الكريم بن المكرم، مج 14، ط 2، دار صادر، بيروت، (د ت).
4. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت - لبنان، 1982.
5. فريدة شنان ومصطفى هجرسي: المعجم التربوي، ت وت: عثمان آيت مهدي، (د ط)، المركز الوطني للوثائق التربوية، الجزائر، 2009.
6. جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، ط 3، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2006.
7. جون ديوي: قاموس جون ديوي للتربية (مختارات من مؤلفاته)، ج: رالف ف. وين، ت وت: محمد علي العريان، (د ط)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة - نيويورك، 1964.

#### رابعاً- المجلات والجرائد:

1. علي صباغ: معالم تربوية في الفكر الحضاري عند مالك بن نبي، (مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، مركز جيل البحث العلمي، العدد 1، لبنان، أكتوبر، 2013).
2. حسين شرفة: منهج الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في التعامل مع السيرة النبوية، (مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد 41، دبي - الإمارات العربية المتحدة، 2011).
3. جميلة حيدرة: المناهج التربوية كواجهة ثقافية للمجتمع، (مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ج 1، العدد 12، جامعة محمد بوضياف، المسيلة - الجزائر، جوان 2017).
4. سمير أبيض: الجهود التربوية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في بناء المجتمع الجزائري (1931-1956م)، (مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، مركز جيل البحث العلمي، العدد 26، طرابلس - لبنان، ديسمبر 2016).

5. محمد البشير الإبراهيمي: خطبة الأستاذ الإبراهيمي، (جريدة البصائر، العدد 37، الجزائر، الجمعة 16 رجب 1355هـ الموافق لـ: 12 أكتوبر 1936م)، ضمن مجموعة: جرائد البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مج 1، (د ط)، دار البحث للطباعة والنشر، قسنطينة - الجزائر، (د ت).
6. محمد البشير الإبراهيمي: لا يبني مستقبل الأمة إلا الأمة، (جريدة البصائر، العدد 26، الجزائر، 13 ربيع الثاني 1355هـ الموافق لـ: 3 جويلية 1936م)، ضمن مجموعة: جرائد البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مج 1، (د ط)، دار البحث للطباعة والنشر، قسنطينة - الجزائر، (د ت).
7. محمد البشير الإبراهيمي: الجمعية دعوتها وغايتها، (جريدة الشريعة النبوية المحمدية، العدد 4، قسنطينة - الجزائر، 15 ربيع الثاني 1352هـ الموافق لـ: 7 أوت 1933م).
8. عبد القادر قلاتي: الشيخ الإبراهيمي وثورة التحرير، (جريدة البصائر، العدد 705، الجزائر، 25-29 رجب 1435هـ الموافق لـ: 19-25 ماي 2014م).
9. أسعد السحمراني: الشباب في فكر الإمام محمد البشير الإبراهيمي، (جريدة البصائر، العدد 244، الجزائر، 06-13 جمادى الأولى 1426هـ الموافق لـ: 13-20 جوان 2005م).
10. عبد القادر فضيل: التربية في منظور الإمام محمد البشير الإبراهيمي، (جريدة البصائر، العدد 252، الجزائر، 1-8 شعبان 1426هـ الموافق لـ: 5-12 سبتمبر 2005م).

#### خامسا- الرسائل الجامعية:

- العابد ميهوب: الفكر التربوي عند مالك بن نبي، (أطروحة غير منشورة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة - الجزائر، 2013-2014).

سادسا- ويبوغرافيا:

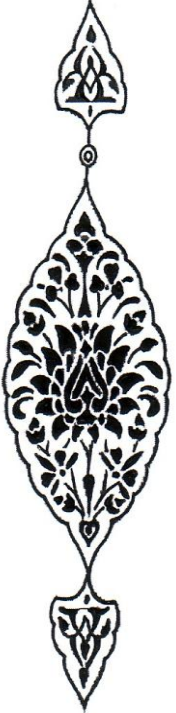
- عبد الحلیم محمد حسین: تربية الإنسان في منهج القرآن، كتاب الكتروني اطلع عليه يوم:

<https://w.w.w.alukah.net/authors/view/home/5213>

PM: 17:10، 2018/10/29

فهرس

الموضوعات



الصفحة	الموضوع
أ-ج	مقدمة
<b>الفصل الأول: مفهوم التربية في الفكر الغربي والعربي</b>	
05	المبحث الأول: مفهوم التربية (لغة، اصطلاحاً)
05	1- لغة
06	2- اصطلاحاً
10	المبحث الثاني: التربية في الفكر الغربي (أفلاطون، جون جاك روسو، جون ديوي)
10	1- أفلاطون
13	2- جون جاك روسو
16	3- جون ديوي
21	المبحث الثالث: التربية في الفكر العربي (أبو حامد الغزالي، ابن خلدون، مالك ابن نبي)
21	1- أبو حامد الغزالي
25	2- ابن خلدون
28	3- مالك ابن نبي
<b>الفصل الثاني: مرتكزات المشروع التربوي عند محمد البشير الإبراهيمي</b>	
35	المبحث الأول: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
44	المبحث الثاني: المرتكز الديني
52	المبحث الثالث: المرتكز القومي
59	المبحث الرابع: المرتكز الوطني
<b>الفصل الثالث: مقومات المشروع التربوي عند محمد البشير الإبراهيمي</b>	
67	المبحث الأول: المعلم
75	المبحث الثاني: المتعلم
83	المبحث الثالث: المادة العلمية
91	المبحث الرابع: طريقة التعليم
99	خاتمة
103	قائمة المصادر والمراجع
115	فهرس الموضوعات

